تلاوة القرآن المجيد

فضائلها آدابها خصائصها

بقلم
عبد الله سراج الدين

مطابع الرشيد
طريق المطار
الحرة الشرقية
خلف محطة الزغيبي
المدينة المنورة
تليفون : ٨٣٦٨٣٨٢
تجليد، أختام، عمل بلاكات

الطبعة الثالثة
١٤٠٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ إمامِ الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين .

وبعد : فإني رأيت أكثر المسلمين قد أعرضوا عن تلاوة كتاب ربهم ، وكادوا يتخذونه قرآناً مهجوراً ، وذلك مما أدّى بهم إلى نسيان قراءته ، والغلط الفاحش في تلاوته ، مع أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة قد أوجبتْ وحَتَّمت ، وأمرتْ وألزمتْ بتلاوة القرآن الكريم نصاً ولفظاً ، وبتلاوته حقَّ تلاوته اعتقاداً وعملًا وتحققاً وتطبيقاً ، وحذَّرتْ تلك النصوصُ كلَّ التحذير من عواقب هجره والإعراض عنه وعدم التمسك به ، والعمل بمقتضاه ، كما سيتضح في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

فمن ثَمَّ أردت أن أجمع في هذا الكتاب فصولًا موجزة أذكر فيها أطرافاً من الأدلة التي تلزم المسلم بالمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، وتبيِّن له أنها من أهم العبادات ، وأعظم القُربات، كما وأني أذكر مايَحُفُّ حول ذلك من آداب القراءة ومطالبها ، وضرورةِ تعلُّمها وتعليمها، ومايترتب على تلاوة القرآن الكريم من آثار ، وماتعطيه من أنوار وأسرار ؛ وأذكر - إن شاءالله تعالى - بعض ماجاء من خصائص الآيات والسُّوَر ، وأبيِّن ضرورة التمسك بالكتاب الإلهي ، وكيف كان اعتناق السلف الصالح لكتاب الله تعالى ، وتعشُّقُهم به وشَغَفُهم بتلاوته ليلَ نهار .

وتعتبر هـذه الحلقـة – أول حـلقـة – من سلسـلة « هَدي القرآن المجيد » وسيعقبها بعد – إن شاء الله تعالى – حلقات متتابعة ذوات مواضيع مختلفة هامة جداً .

وإنني لأرجو الله تعالى أن يجعل جميع ماأنشره – منار هدى وتبيان ومشرق إسلام وإيمان ، تنجلى فيه أنوار القرآن العظيم وأنوار أحاديث رسول الله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً ، والله ولي التوفيق .

القرآن الكريم كلام الله تعالى على الحقيقة منه بدأ وإليه يعود

قال الله تعالى : ﴿ وإنْ أَحَدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْه حتى يسمعَ كلامَ الله ﴾الآية .

وقال تعالى : ﴿ وإنك لَتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حكيمٍ عليم ﴾ . فالقرآن الكريم صادر من لدن حكيم عليم .

وقال تعالى : ﴿ إنّا سَنُلْقي عليك قولًا ثقيلًا ﴾ فهو قول الله تعالى ألقاه على رسوله محمد ﷺ ، بواسطة جبريل الأمين .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «يقول الرب تبارك وتعالى : من شَغله القرآن عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ماأُعطِي السائلين ، وفضلُ كلامِ الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خَلْقه» رواه الترمذى والدارمي .

وعن أميرالمؤمنين عليٍّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عليكم بالقرآن فاتَّخِذوه إماماً وقائدًا ، فإنه كلام رب العالمين الذي هو منه وإليه يعود ، فآمِنوا بمتشابهه واعتَبِروا بأمثاله » رواه ابن شاهين في السنة وابن مردويه وابن لال والديلمي ، كما في « الجامع الصغير » وشرحه .

وروى الدارمي في سننه عن عطية أنه قال قال رسول الله ﷺ : «مامن كلام أعظمَ عندالله من كلامه ، ومارَدَّ — أى ماتقرب — العباد إلى الله كلاماً أحبَّ إليه من كلامه » .

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله

ﷺ يَعرِض نفسه في الموسم على الناس في الموقف فيقول : « ألا هل مِن رجل يحملني إلى قومه حتى أبلِّغ كلام ربي ، فإن قريشاً منعوني أن أبلِّغ كلام ربي » .

وعن سعيد بن جبير قال : خرج رسول الله ﷺ غازياً فلقيَ العدوَّ فأخرَج المسلمون رجلًا من المشركين وأشرعوا فيه الأسنَّة ، فقال الرجل : ارفعوا عنى سلاحكم وأسمعونى كلام الله تعالى . رواه البيهقي وقال مرسل حسن .

وروى الدارمي بإسناده عن ابن عمر مرفوعاً : « القرآنُ أحبُّ إلى الله تعالى من السموات والأرض ومَن فيهن » .

وروى البيهقي بإسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه لما نزلت ﴿ آلم غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرضِ ﴾ الآية قرأها على قريش ، فقالوا لأبي بكر : كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال : ليس بكلامي ولاكلام صاحبي ، ولكن كلام الله عزوجل .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن هذا القرآن كلام الله تعالى فلايَغُرَّنَّكُم ماعطفتموه على أهوائكم . يعنى بذلك : ابتغوا هدي القرآن الكريم ولاتميلوا به إلى أهوائكم المنحرفة .

كما تفسره رواية الإمام أحمد في «كتاب الزهد» بسنده عن عمر رضي الله عنه أنه قال : إن هذا القرآن كلام الله عزوجل فضعوه على مواضعه ، ولاتتبعوا فيه أهواءكم .

وروى البيهقي بإسناده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : لوأن قلوبنا طَهُرَتْ ماشبعتْ من كلام ربنا ، وإنى لأكره أن يأتي عليَّ

يوم لا أنظر فيه في المصحف .

وروى الطبراني عن الحكم بن عمير أن النبي ﷺ قال : « تَبَرَّك بالقرآن ، فهو كلام الله تعالى » . كمافي « الجامع الصغير » «والفتح» .

وروى محمد بن نصر في « قيام الليل » عن خَبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه أنه كان يخاطب نفسه فيقول : ياهَنَتاه تقرَّبْ إلى الله تعالى مااستطعت ، فإنك لن تَقَرَّب إلى الله بشئ أحبَّ إليه من كلامه .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إنكم لا تَرجعون إلى الله تعالى – أي لا تتقربون إلى الله تعالى – بشئ أفضلَ مما خرج منه » أى : بدأ منه. يعنى القرآن . قال الحافظ المنذري : رواه الحاكم وصححه، ورواه أبوداود في مراسيله عن جبيربن نُفَير. اهـ .

عظمة الكلام الإلٓهي بالوحى وهيبة الملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى :﴿ حـم عسق كذلك يُوحِي إليك وإلى الذين من قبلك اللهُ العزيزُ الحكيمُ . له مافي السموات وما في الأرض وهُو العليُّ العظيم . تَكادُ السمواتُ يَتَفطَّرْنَ مِن فوقهنَّ والملائكةُ يُسبِّحون بحمد ربهم ويَستغفرونَ لمنْ في الأرض ألَا إن اللهَ هو الغفورُ الرحيم ﴾ .

ففي هذه الآيات الكريمة يخبر سبحانه عن عظمة صدور الوحي من لدنه ، وأنه سبحانه هو العزيز الذي ليس كمثله شيء ، وأنه الحكيم في وحيه إلى رسله ، فقد تكفل وحيُه إلى رسله بمصالح العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة . ثم يخبر سبحانه بقوله : ﴿ له ما في السمواتِ وما في الأرضِ ﴾ أى : إن جميعَ ذلك له مِلكاً ومُلكاً : فهو سبحانه له الخلق

وله الأمر فلا مالك لذلك غيره ، ولامَلِك في ذلك غيره ، فهو المدبر والمتصرف في ملكه بحكمته ، وهو العلي العظيم الذي لايغالَب ولايقارَب في قوته وقدرته ، بل هو الغالب على أمره .

ثم يخبر سبحانه بقوله : ﴿ تكادُ السمواتُ يتفطَّرْنَ من فوقهن ﴾ يخبر بذلك عن تأثر السموات العُلى ورهبتها من سلطان الأمر الإلٓهي النازل من فوقهن ، حتى إنها مع عِظَم جِرمها ومدى سعتها تكاد تنشق حشية ورهبة من عظمة الوحي وهيبته .

وقد أخبر سبحانه عن خشية الملائكة وهيبتها من سلطان الوحي والكلام الإلٓهي فقال : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذِن له حتى إذافُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربُكم قالوا الحقَّ وهو العلي الكبير﴾

وجاء البيان عن هذه الآية الكريمة ومافيها من الخبر العظيم عن ذلك الأمر العظيم – جاء ذلك البيان ، عن الصادق الأمين أشرف ولد عدنان ، الذي علَّمه الله تعالى القرآن، وعلمه البيان عن القرآن ، حيث قال سبحانه ﴿ إنَّ علينا جَمْعَه وقرآنَه فإذا قرأنَاه فاتَّبِعْ قرآنَه ثم إن علينا بيانَه ﴾ أى : علينا أن نبين لك هذا القرآن ، وقد بين الله تعالى له ذلك . وقال له ﴿ وأنزلْنا إليك الذِّكْرَ لتبيِّنَّ للناس مانُزِّل إليهم ﴾ الآية

فقال صلى الله عليه وسلم في بيان معاني قوله تعالى ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم ﴾ الآية كما رواه البخاري عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضربتْ الملائكة بأجنحتها خُضْعَاناً

لقوله ، كأنه سلسلة على صَفوان ، فإذا فزِّع - أى زال الفزع - عن قلوبهم قالوا : ماذاقال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحقَّ ، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترِقُ السمع ، ومسترق السمع، هكذا : بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده فحرَّفها - أى أمالها - وبدّد - أي فرّق - بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيُلْقيها إلى من تحته،ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على يد الساحر أوالكاهن .

قال : فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها - أي الكلمة التي سمعها - وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا، فيُصَدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء »[١].

ومن هنا قال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا تكلم الله تعالى بالوحي وسمع أهل السموات كلامه سبحانه أُرْعِدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغَشْي .

ومن المعلوم أن أول من يبلغه الأمر الذي يوحيه الله تعالى وأول من يسمع ذلك هم حملة العرش ، فتأخذهم الخشعة والرهبة ، ثم الذين يلونهم ، كما دل عليه حديث مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده - واللفظ له - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه - قال عبدالرزاق : من الأنصار - فرمي بنجم فاستنار ، فقال ﷺ : « ماكنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا

---

(١) وقد روى هذا الحديث أبوداود والترمذى وابن ماجه أيضا .

في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول : يولد عظيم أويموت عظيم . قلت للزهرى : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم . ولكن غُلِّظت — أى أكثرت — حين بُعث النبي ﷺ . قال ابن عباس : فإنها لايرمى بها لموت أحد ولالحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرًا سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يَلُون حملة العرش فيقول الذين يَلُون حملة العرش — لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماءٍ سماءً حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، فتخطَفُ الجن السمع فيُرْمَوْن — أى بالشهب — فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يَقْذِفُونَ فيه ويزيدون .

فتبين مما سبق أن رب العزة إذا تكلم بالوحي وسمعت الملائكة ذلك أخذتهم الخشية واعترتهم الغشية ، حتى ينجلي عنهم ذلك . وورد أيضاً أنهم إذا سمعوا ذلك صُعِقوا وخَرُّوا لله سجداً .

فقد روى الطبراني وابن مردويه واللفظ له عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذتِ السمواتُ منه رجفة — أوقال : رِعدة — شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صُعقوا وخَرُّوا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام ، فيكلمه الله من وحيه مما أراد ، فيمضي به جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول : قال الحقَّ وهو العلي الكبير ، فيقولون مثل ماقال جبريل ، فينتهي جبريل

بالوحي حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض »[١].

قال الحافظ في « الفتح » وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه «إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السِّلسلة على الصفوان ، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة، وقرأ ﴿ حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم ﴾ الآية[٢].

حفظ الله تعالى لهذا القرآن الكريم

إن من الواجب على العاقل أن يعتقد أن الله تعالى حفظ هذا القرآن الكريم بأنواع من الحفظ ، وقد ثبت ذلك بالأدلة القطعية . فقد حفظ محله ولوح كتابته في الملأالأعلى ، وحفظ طريق نزوله ووحيه إلى رسوله الأكرم سيدنا محمد ﷺ ، وحفظ نصوصه وكلماته وحروفه من الزيادة والنقصان والتبديل ، وحفظ معانيه من التحريف ، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ، ويحفظ معانيه من التحريف والتغيير ، وتكفل سبحانه باستمرارهم وبقائهم إلى يوم الدين . وإليك تفاصيل ذلك كله .

---

(١) قال ابن كثير بعد ماأورد هذا الحديث : وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة .. الخ وعزاه الحافظ ابن حجر في (الفتح) إلى الطبراني .

(٢) قال في (الفتح) وأصله عند أبي داود وغيره ، وعلقه المصنف - البخاري - موقوفا ، ويأتي في كتاب التوحيد . قال الخطابي : الصلصلة صوت الحديد إذا تحرك وتداخل . اهـ ٨ : ٥٣٨ .

حفظ الله تعالى لوح كتابته وصدف جوهره

قال الله تعالى : ﴿ بلْ هو قرآنٌ مجيدٌ في لوحٍ محفوظ ﴾ .

فلقد وصف الله تعالى محلَّ هذا القرآن الكريم ولوح كتابته الذي هو في الملأ الأعلى – وصف ذلك بأنه محفوظ من أن تصل إليه الشياطينَ ، أو تتلاعب فيه ، وفي هذا إشارةٌ إلى أن ما فيه فهو محفوظ من باب أولى وأحق ، فإن حفظَ صَدَفة الجواهر يُراد منه حفظ مافى الصدفة من الجواهر ، وإن حفظ اللوح يراد منه من باب أولى حفظُ مالاح وكتب فى اللوح .

ويكفيك دليلًا بهذه الآية الكريمة على حفظ الله تعالى لهذا القرآن في طُرُق تنزُّلاته بالوحى إلى رسول الله ﷺ ، وعلى حفظ الله تعالى لنصوص كلماته وحروفه ، فإن الله تعالى الحكيم العليم الذي حفظ لوح هذا القرآن الكريم ، وحفظ هذا القرآن الكريم في الملأ الأعلى حاشاه بمقتضى حكمته أن يتخلى عن حفظه له فى طريق نزوله، وبعد نزوله إلى هذا العالم ، ويعرِّضَه للضياع والتلاعب فيه والزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، فكفالته سبحانه بحفظ لوحه وحفظ كلماته ثمة فى الملأ الأعلى دليل على كفالته بحفظه له أيضاً فى الملأ الأدنى .

ولذلك أعلن الله تعالى كفالته بحفظ هذا القرآن الخاصةَ به دون سائر الكتب الإلهية ، تلك الكفالة الدائمة الباقية حيث قال سبحانه ﴿ إنا نحن نزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنا له لحافظون ﴾ و فى تقديم كلمة (له) على متعلَّقها دليلُ التخصيص بالحفظ لهذا القرآن دون ما سواه من الكتب الإلٓهية ، كما سنوضح ذلك فيما يأتى إن شاءالله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ وإنه في أمِّ الكتابِ لَدَينا لَعَليٌّ حكيم ﴾ فقد أخبر سبحانه عن عظيم شأن هذا القرآن الكريم في الملأ الأعلى وأنه في مقام الإجلال والإعظام والإكبار ، مقام (لَدَينا) كما أخبر سبحانه .

حفظ الله تعالى كتابه العزيز وصيانته من التلاعب فيه

إن الله تعالى أنزل هذا القرآن الكريم على سيدنا محمد الصادق الأمين ، بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام ، وقد حفظ سبحانه طريق نزوله من تلاعب الشياطين ومشاغبتهم ، فملأ السماءَ حَرَساً شديداً من الملائكة الكرام الأقوياء العظام ، وشُهُباً كبيرة كثيرة محرقة ، كماأخبر الله تعالى عن ذلك فى سورة الجن حيث قال سبحانه مخبراً عن الجن : ﴿ وأنا لَمَسْنا السماءَ فوجدْناها مُلِئتْ حَرَساً شديداً وشُهُباً. وأنا كنّا نقعدُ منها مقاعِدَ للسَّمْع ﴾ أى كان ذلك قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وبدء نزول القرآن عليه ﴿ فمَنْ يستمع الآن ﴾ أى بعد ما بُعث ﴿ يَجدْ له شِهاباً رَصَداً ﴾ .

فنزل القرآن العظيم من حضرة رب العزة على قلب النبي مصوناً محفوظاً ، وإن الذى نزل به هو الروح الأمين فى جمع حافل من الملائكة يحفُّونه ويحرسونه ، والمنزل عليه هو الصادق الأمين إمام الأنبياء والمرسلين ، وطريق نزوله مَصُون و حصين . قال تعالى : ﴿ نَزَل به الرُّوحُ الأمين.على قلبكَ لتكون من المنذِرين . بلسان عربى مبين . وإنه لفى زُبُر الأوَّلين ﴾ يعنى أن هذا القرآن مُحَدَّث عنه ومُخْبَر به فى الكتب السابقة كلها.

وقد أبطل الله تعالى دعوى من ادعى أن هذا القرآن هومن باب

السحريات أو الكهانات ، وأثبت أنه كلامه أنزله على رسوله الحق محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الروح الأمين . قال تعالى : ﴿ وماتَنزَّلتْ به الشياطين ، ومايَنبغى لهم ، ومايستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون ﴾وفى هذه الآية ردود قاطعة مُفحِمة للخصم لاتحتمل التأويل . والمعنى : أن هذا القرآن الكريم نزل به الروح الأمين ومعه طائفة من ملائكة الله المكرمين ﴿ وماتَنزَّلت به الشياطين ، ومايَنبغي لهم ﴾ يعني أنه ليس من شأن الشياطين أن تنزل بهذا القرآن الكريم ، ولا من سجيتهم، لأنهم شاطنون أى بعيدون عن كل خيرٍ وبرّ ، و عن كل كمال وفضيلة ، بل إن شأنهم وشاكلتهم كل فساد وشر وقبيحة ورذيلة، هذا طبعهم وهذا وضعهم وهذا وصفهم . فكيف يتصور لدى العقول أن تنزل الشياطين التى من شأنها وطبعها السوء والشر والأذى والضر كيف تنزل بهذا القرآن الكريم الجامع لكل خير وبِرّ وكل كمال وجمال وإحسان وإفضال ، وآداب فاضلة وأخلاق عالية . فإن ذينك لايلتقيان ولايتناسبان ولايجتمعان ، بل هما ضدان ونقيضان . وإنما المناسب لهذا القرآن الكريم أن ينزل به الروح الأمين في حفل من الملائكة المكرمين .

ثم كيف يتصور لدى العقول أن تنزل الشياطين بهذا القرآن الكريم في حين ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ أي : مطرودون وممنوعون عن الاستماع إليه من السموات ولو بالاستراق ، فإن حرس الملائكة وشُهُب النيران تترصدهم ، فأنّى لهم أن يتلقوه تاماً ويَتَنَزَّلوا به كاملًا ؟ !

ثم إنه كيف يتصور لدى العقول أن تنزل به الشياطين في حين أنهم عاجزون عن تحمُّله وتأديته ، فإنهم لاقوة ولا طاقة لهم بذلك ﴿ وما يستطيعون ﴾ فإن تحمُّل ذلك وتلقِّيه ثم إلقاءَه وتأديتَه يحتاج ذلك إلى

قوة قوية من عندالله تعالى ، وتأييد بروح من الله تعالى ، لأن فيه المعارف العلوية والمعارف القدسية والعلوم السَّنِية والحكم السامية، بحيث إن طائفة من تلك الآيات الكريمة لوأنزلت على صمِّ الجبال الشامخات لتشققت وتصدعت . قال تعالى ﴿لوأنْزَلْنَا هذا القرآنَ على جبل لرأيتَه خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خشيةِ الله ، وتلك الأمثالُ نَضْرِبها للناس لعلَّهم يتفكَّرون ﴾ وقال تعالى ﴿إنا سَنُلْقِي عليك قولًا ثقيلًا﴾.

وروى الامام أحمد والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أُوحِي إليه وهو على ناقته وضعتْ جِرانها - هوباطن العنق - فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه . وتلت رضي الله عنها ﴿ إنا سنُلقي عليك قولًا ثقيلًا ﴾ .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فَيَفْصِمُ عنه وإن جبينه ليتفصَّدُ عَرَقاً .

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه : أنزل على رسول الله ﷺ - أي القرآن - وفَخِذُه على فَخِذي ، فكادت تُرَضُّ فخذي ... الحديث كما في البخاري وغيره . فلا يَقْوَى لنزول القرآن وتلقيه وتحمله إلا هذا الرسول الأعظم والحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم الذي أمدَّه الله تعالى وأعدَّه وقواه وأعطاه .

ثم إن الله تعالى رد تلك الدعاوى الباطلة والافتراءات الضالة بوجه آخر بيَّن فيه وجوه المناسبة بين الشياطين وبين من تتنزل عليه ، فقال

تعالى ﴿هل أُنبئكم على من تَنَزَّل الشياطينُ تَنَزَّل على كل أفَّاكٍ أثيم يُلْقونَ السمعَ وأكثرُهم كاذبون﴾ .

وفي هذا اللون من الرد : إفحامٌ للمفترين وخصم قاطع للجاحدين المنكرين وإلقامهم حجر الخذلان ، وفيه الحجج الساطعة والبينات القاطعة على قضية سيدنا محمد ﷺ هي أنه رسول الله ﷺ، تنزل عليه ملائكة الله تعالى لايحتمل أمره غيرذلك .

ففى الوجه الأول من الرد : بيان شرفِ النازل بهذا القرآن الكريم وقداستِه وأمانته وأنه جبريل الأمين قطعاً، وأن من المستحيل أن تتدخل الشياطين في ذلك .

وأما الوجه الثاني من الرد : ففيه بيان شرفِ المنزل عليه وطهارته ونقائه وعصمته وأمانته ، وبيان إحالة قرب الشياطين حوله أونَيلِها منه أوتنزُّلِها عليه ، لأنه لامناسبة في ذلك أصلًا ، ومن المقرر أن المناسبة هى أساس في الاجتماع والانسجام . وبيان ذلك أن الشياطين ذووا نفوس شريرة وطبائع فاسدة قبيحة ، لامناسبة بينها وبين نفسية محمد ﷺ، تلك النفسية الطيبة الزكية التقية النقية ، المتصفة بصفات الفضل والكمال ، وخصا ل المجد والنوال ، ومكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فأي مناسبة بينه وبين الشياطين حتى تنزل عليه، فإن الطيور على أشكالها تقع ، والأرواح عند أشباهها تضع ، فالشياطين أفَّاكون كذابون فيما يقولون ، وآثمون فاجرون خائنون فيما يعملون ويعاملون

وأما محمد رسول الله ﷺ فهو ليس بأفَّاك ولا أثيم ، بل هو

الصادق في جميع أقواله ، الأمين في جميع أفعاله وأعماله ، باعتراف أحبابه وأعدائه ، فإنهم كلهم يعلمون صدقه وأمانته وعفته وحسانته ، فلامناسبة قطعاً بينه وبين الشياطين ، وإنما ثبتت مناسبته وحقَّتْ مع ملائكة الله تعالى الأمناء الأتقياء الأصفياء ، فهم يتنزلون عليه بأوامر الله تعالى ووحيه،وقائدهم ورئيسهم جبريل عليه السلام ، فهو الذي نزل بالقرآن من حضرة الملك الدَّيَّان ﴿ نَزَل به الروحُ الأمينُ على قلبك ﴾ ياأيها الأمين الصادق ﷺ ، وقد تقرر لدى العلماء والعرفاء أن المناسبة هي علة الضم والجمع ، فلاينضم شيءٌإلى شيء ، ولايجتمع شيء إلى شيء إلا بمناسبة بينهما.

حفظ الله تعالى لهذا القرآن العظيم من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان أبد الآبدين

وأما حفظ الله تعالى لهذا القرآن الكريم من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان فإنه ثابت قطعاً من عدة وجوه .

الوجه الأول :

أولا : أن الله تعالى قد تكفل بحفظه بنفسه قال تعالى ﴿ إنا نحن نزَّلنا الذِّكرَ وإنا له لحافظون ﴾ فأخبر سبحانه في هذه الآية عن أمرين عظيمين :

الأول : أنه سبحانه هو الذي نزَّل هذا الذكر ، أي القرآن الكريم ، لا غيره ، يعني أن هذا القرآن هو من عند الله تعالى قطعاً لا من عند غير الله ، لأن غير الله تعالى لا يقدر على الإتيان به، ولايستطيع أن يأتي بمثله ، لانصاً ولاإعجازاً ولاإحكاماً لآياته ، ولاأحكاماً لشريعته

ولا إخباراً عن المغيبات ولا إحاطة ببعض تلك العلوم والمعارف التي جاء بها في كتابه .

الثاني : أنه سبحانه الذي أنزل هذا القرآن هو تكفل أن يحفظه من التلاعب والزيادة والنقصان ، فكما يجب الإيمان قطعاً بأن هذا القرآن أنزله الله تعالى ، يجب الإيمان قطعا بأن الله هو حافظ لهذا القرآن قطعا . وهذا من خصائص القرآن الكريم، فإنه سبحانه لم يتكفل بحفظ أيٍّ كتاب أنزله على رسله السابقين ، فلم يتكفل بحفظ التوراة والإنجيل ولاالزبور وغيرها ، بل وَكَل حفظها للربانيين والأحبار . قال تعالى : ﴿ إنا أنزلْنا التوراةَ فيها هدىً ونورٌ يحكمُ بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ﴾ أي يحكمون بذلك ﴿ بما استُحْفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شُهداءَ ﴾ الآية .

فلقد استحفظهم الله تعالى إياها فمااسْطَاعوا أن يحفظوها من الزيادة والنقصان والتحريف . أما هذا القرآن العظيم فقد تولَّى الله حفظه حيث قال ﴿ إنا نحن نزَّلْنا الذِّكْر وإنا له لحافظون ﴾ فلم ينله تبديل ولاتحريف ولازيادة ولانقص ، ولن يناله ذلك أبداً ، لأن الله تعالى الحفيظ العليم هوبنفسه تولَّى حفظه ، وشَتان بين حفظ الخالق وحفظ المخلوق .

ومن ثَمَّ قال سبحانه ﴿ إن الذين كفروا بالذِّكْر لماجاءهم وإنه لكتاب عزيزٌ لايأتيه الباطلُ من بين يديه ولامن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ﴾.

ومن هذه الآيات التي ذكرناها يتضح للعاقل جلياً أن هذا القرآن هو مَصُونٌ عن عبث العابثين وتلاعب المتلاعبين، محفوظ من النقص والزيادة والتبديل والتغيير . وهذا أمر يجب الإيمان به جزماً والاعتقاد به

قطعاً ، وذلك لأمور متعددة :

(١) لوجرى على هذا القرآن تبديل أو تغيير أو زيادة أو نقص : لما صحّ الخبر في قوله تعالى : ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ ولَمَا صَدَقَ الله تعالى وعدَه بالحفظ لهذا القرآن العظيم ، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا . فان الله تعالى لايُخلف وعدَه ، وإن خبره صادق محتم الوقوع . ومن أصدق من الله قِيلًا ! ومن أوفى بعهده من الله !! فإنه سبحانه لايكذب خبره ولايتخلّف وعده ولاتنقض كفالته .

فإن في قوله تعالى ﴿وإنا له لحافظون﴾ كفالةً من الله تعالى موثّقة، وخبراً مؤكداً ووعداً محتماً ، يعرف ذلك من تدبّر . قال تعالى ﴿كتابٌ أنزلْناه إليك مباركٌ ليدَّبروا آياتِه وليتذكَّر أولوا الألباب﴾ .

(٢) أنه لوجرى على هذا القرآن الكريم تبديل أوزيادة أونقص : لكان ذلك منافياً ومعارضاً لقوله ﴿لايأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولامن خَلْفه تنزيلٌ من حكيم حميد﴾ فإن الله تعالى أخبر أن الباطل لايأتي هذا القرآن ولايتسرب إليه لافي نصوصه ولافي معانيه، فهو لايعارَضُ ولايناقَضُ ، ولايزاد فيه ولاينقص منه ، لأن الزيادة فيه باطلة ليست منه ، والنقص منه هو إبطال لما هو منه حقاً دالًا على حق . فقوله تعالى ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه﴾ دليلُ صيانتِه وحفظِه من التلاعب والزيادة والنقص . وهذا الخبر القرآني لايتخلف ولايتبدل، فإن الباطل لايمكن أن يتسرب إلى هذا القرآن قطعا، لافي نصوص كلماته بزيادة أونقص، ولافي معانيه بتكذيب أونقض .

(٣) لوجرى على هذا القرآن الكريم تحريف أوزيادة أونقص :

لكان ذلك منافياً ومخالفاً لقوله تعالى : ﴿ وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لِأنذِرَكم به ومَنْ بَلَغَ ﴾ الآية . وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بقوله ﴿ قل أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً قُل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لِأنذركم به ومن بلغ ﴾ فأكبر شاهدٍ شهادته أكبر شهادةً لسيدنا محمد ﷺ أنه رسول الله ﷺ ، هو الله العلي الكبير الذي أعلن شهادته بأن محمداً رسول الله ﷺ في الآيات التكوينية السماوية والأرضية والشجرية والمائية والطعام والشراب وغيرذلك ، وهي المعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه ﷺ شهادة له بأنه رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم . ومن الآيات السماوية انشقاق القمر وإمطار السُّحُب ونحو ذلك .

كما أنه سبحانه أعلم عباده بشهادته أن محمداً رسول الله ﷺ في آياته التدوينية القرآنية . قال تعالى ﴿هو الذي أرسَلَ رسولَه بالهدَى ودينِ الحق ليظهرَه على الدينِ كلّه وكفى بالله شهيداً محمدٌ رسولُ الله﴾ فهذا معنى قوله تعالى ﴿قلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً قل الله شهيدٌ بينى وبينكم﴾ ثم قال سبحانه ﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ أي : قل لهم يامحمد - أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به : أيها الناس أى الذين بلغتكم وشافهتكم ، ومن بلغ : أي وأنذر به كلَّ من بلغه هذا القرآن إلى يوم القيامة .

فقد أمره الله تعالى أن ينذربه أول هذه الأمة ووسطها وآخرها على حد سواء . وفي ذلك يقول ﷺ : «مَن بلَغه القرآنُ فكأنما شافَهْتُه به» ثم قرأ ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ رواه ابن

مردويه وأبونعيم والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما نحو ذلك عن محمد بن كعب القُرَظي ، كما في تفسير ابن كثير والقرطبي والآلوسي .

فقد جعل الله تعالى القرآن الكريم حجةً لرسول الله ﷺ على جميع العباد ، وبلاغاً عنه لكافة العباد إلى يوم المعاد ، فإنه ﷺ صاحب الرسالة العامة للثقلين إلى يوم القيامة ، ولذلك اقتضت الحكمة الآلهية أن يبقى كتابه الذي أنزله الله عليه - يبقى محفوظا إلى يوم الدين ، لتقوم الحجة على العباد ، وليهتدوا به إلى سبيل الرشاد ، ويبلِّغه آخر هذه الأمة كما بلغه ﷺ لأولها .

فلوجاز أن يجري عليه تحريف أو زيادة أو نقص لما تحقق إنذاره ﷺ بالقرآن لمن يأتي من بعده ، كما أنذر الذين في عصره، في حين أن الآية تُخبِر بإنذاره ﷺ لمن في عصره ومن بعده على حدٍ سواء .

(٤) لوجرى على هذا القرآن الكريم تحريف أوزيادة أونقص : لأدى ذلك إلى ذهاب الثقة به، ولأدى ذلك إلى عدم الإيمان الجازم بماجاءبه ، وكيف لايوثق به ولايقطع جزما بماجاءبه، مع أن الله تعالى بيَّن لعباده أن هذا الكتاب الذي هو بجميع آياته موثوق به ومقطوع بحقيقته لايتطرق الباطل ولاالخلل إلى جانب من جوانبه . قال تعالى ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فإن فحوى هذه الآية ونصها يناديان العباد ويخبرانهم أن الثقة كل الثقة ، واليقين كل اليقين ، والحق كل الحق - في هذا الكتاب العزيز الذي لايجد الباطل والوهم والكذب والافتراء والتلاعب وماشابه ذلك - لايجد

ذلك إلى الكتاب سبيلًا أصلًا .

فلوجرى عليه تحريف أوزيادة أونقص لذهبت الثقة واليقين به ، أما ذهاب الثقة بالمزيد فالأمر بيِّنٌ . وأما ذهاب الثقة بالمزيد عليه فإن العاقل يقول : لعل في هذا الأصل زيادةً أيضاً ، فما يدرينا أنها كلَّها أصل ؟!

وأما ذهاب الثقة به حالة النقص : فذلك لأن بين الأصل المنقوص عنه والشيء الناقص منه ارتباطاً في المعاني والأحكام والأخبار وغير ذلك ، ولوجرى عليه النقص لأدى ذلك إلى عدم الثقة بالناقص والمنقوص منه. فلايكون أحد من المسلمين على ثقة بدينه ، لاحتمال نسخ بعض الصلوات أوتغيير أوقاتها أوالزيادة عليها، أونسخ الزكاة أومقاديرها، أونسخ الصيام أوالزيادة فيه أوبتبديله بغيره، أونسخ الحج ، أوتحليل الخمر والميسر ونحوهما من المحرمات، أوتحريم بعض أنواع من الحلال، وبذلك لايكون أحد من الناس على عبادة إلاوهو على شك منها، ولايُقدمُ على حلال ولايُحجم عن حرام إلا وهو متشكِّكٌ ، فأين الإيمان والجزم بشرع الله تعالى ! نعوذ بالله تعالى ! وحينئذ لايمكن الإيمان الجازم به والحالة هذه ، وحينئذ لا بد من نبي يبعثه الله تعالى يبين للناس مانقص منه أو مازِيدَ فيه ، ولانبيَّ بعد نبي الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . قال تعالى : ﴿ ماكان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ فهو سبحانه يعلم بعلمه القديم الذي الذي لاأول له أن خَتْمَ النبوات لايليق به إلا محمد ﷺ . وقال ﷺ في حديث طويل :

« وأنا خاتَمُ النبيين ولانبي بعدي » .

ولذلك نرى أن الكتب السماوية السابقة لما كانت في معرِض التحريف والزيادة والنقص اقتضت حكمة الله تعالى أن يتابع ويوالي بين بعثة الأنبياء بحيث مايذهب نبي إلا يبعث الله تعالى نبياً آخر ، وربما اجتمع في زمان واحد عدة من الأنبياء . قال تعالى ﴿ ثم أرسلْنا رُسُلَنا تَتْرَى كلما جاء أمةً رسولُها كذَّبوه ﴾ وذلك لأجل أن يبينوا للناس مانزل إليهم من ربهم ويبعدوهم عن الشك في دينهم ، بحيث يكونون على يقين في كتابهم وشريعتهم ، وبذلك تقوم حجةُ الله تعالى على العباد ﴿ لئلا يكونَ للناس حجة على الله بعد الرُّسُل ﴾ .

وأما الكتاب الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ من عند الله تعالى فهو باقٍ إلى يوم القيامة محفوظٌ مصونٌ عن التغيير والتحريف والزيادة والنقص . فرسالة سيدنا محمد ﷺ باقية . فهاهنا أمران عظيمان متلازمان لاينفكان عن بعضهما :

الأول : عموم رسالته ﷺ إلى جميع الثقلين إلى يوم الدين .

الثاني : حفظ الله تعالى كتابه النازل عليه ﷺ وإبقاؤه مصوناً عن التلاعب فيه إلى يوم الدين .

فالطعن في أحد هذين الأمرين هو طعن في الأمر الآخر ، لأنهما مرتبطان ببعضهما ، وكما أن عموم رسالته ﷺ ثابتٌ بالنصوص القطعية نحو قوله تعالى : ﴿ قل ياأيها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعاً ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناكَ إلا كافةً للناس

بشيراً ونذيراً ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿ لِأُنذِركم به ومَن بلَغ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وماأرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ فكذلك أيضاً حفظ كتابه النازل عليه ﷺ ثابت بالأدلة القطعية المفحمة للعقول، كما تقدم .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿تبارك الذي نزَّل الفرقانَ على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ فقد بين سبحانه فى هذه الآية أن وظيفة سيدنا محمد ﷺ عبدِ الله ورسوله أن ينذر العالمين الى يوم الدين، دون أن يقتصر على أهل زمانه فحسب . ولابد لهذا الخبر أن يتحقق وقوعه ، لأنه من الله تعالى ﴿ ومن أصدق من الله قيلًا ﴾ فكيف كان ذلك ؟ هل تحقق أم لا ؟

نعم كان ذلك حقاً ، كمابيَّن الله تعالى فى قوله ﴿ وأوحيَ إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ أى وأنذركل من بلغه هذا القرآن إلى يوم الدين ، لأن هذا القرآن باقٍ كما هو ، إلى يوم الدين بحفظ رب العالمين.

(٥) لقد ذكر الله تعالى بالمدح والتعظيم - التوراة ، ثم ذكرالإنجيل ، ثم ذكر هذا القرآن الكريم ، وبيَّن منزلته من بين الكتب الآلهية ، ورفعة رتبته على جميع الكتب ، وأنه المهيمن على الكتب السماوية التي نزلت قبله ! قال تعالى ﴿ إنا أنزلنا التوراةَ فيها هُدَى ونورٌ ﴾ الآية . ثم قال تعالى ﴿ ثم قَفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيلَ فيه هدًى ونورٌ ﴾ الآية . ثم قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتابَ بالحق مصدِّقا لما بَيْن يديه من الكتاب ومُهَيمِناً عليه ﴾ .

فقد أخبر سبحانه عن رتبة هذا الكتاب العزيز بالنسبة لجميع الكتب

قبله بأنه مصدِّقٌ لما جاءت به من عند الله تعالى ، وأنه المهيمن على جميع الكتب قبله .

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه : « باب كيف نزل الوحي وأول مانزل » قال ابن عباس رضي الله عنهما : المهيمن : الأمين ، والقرآن أمين على كل كتاب قبله » اهـ .

فهذا القرآن الكريم هو الأمين الحكم على كل كتاب قبله : يُحِقُّ مافيها من حق ، ويُبْطل ماحُرِّف منها وأُدخِل عليها من باطل . وروى ابن عباس أنه قال : المهيمن هو الشاهد . وفي رواية عنه فسَّر المهيمن هنا بمعنى الحاكم، وكلها متقاربة ومتلازمة . فهذا القرآن الكريم هو الأمين على الكتب قبله والشاهد والحاكم .

فإذا كان أمرالقرآن وموقفه مع الكتب قبله هوأنه الأمين عليها والحاكم على مافيها فلا يمكن أن يجرى عليه تحريف في كلمة أوزيادة أونقص ، لأنه حينئذ يحتاج إلى أمين عليه وحَكَم آخر يحكم فيه . هذا من وجه .

ومن وجه آخر : فإذا جازعلى هذا القرآن تحريف كلمة وزيادة أونقصان فيه فإن الله تعالى يكون قد نصب على كتبه السماوية السابقة أميناً غيرمضمون وحَكَماً غيرمأمون . تعالى الله الحكيم العليم عن ذلك علواً كبيراً .

بل إن في جعل الله تعالى هذا القرآن الكريم أميناً وحكماً على الكتب قبله شهادةً منه سبحانه بضمانة وأمانة هذا القرآن وحفظه من التلاعب فيه والزيادة والنقص ، ولذلك حُقَّ له أن يكون مهيمناً على الكتب السماوية قبله، حاكما عليها وشاهدا وأمينا، يحق مافيها من حق ،

ويبطل ماحرف منها وزيد فيها من باطل .

(٦) أن هذا القرآن الكريم قد خصه الله تعالى من بين سائر الكتب الإلٓهية بالإعجاز ، فجميع الكتب الإلٓهية هي كتب دعوة العباد إلى الله تعالى وبيان مافيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

وأما هذا القرآن فهو كتاب دعوة إلى الله تعالى وبيان، وكتاب إعجاز وبرهان ، فهو كتاب دعوة وحجة معاً لاينفكان : دعوةٍ إلى الله تعالى وبيان مافيه سعادة الدنيا والدين ، وحجةٍ بإعجازه وبرهانه المبين . فدعوته وبيانه قائمان على الإعجاز والبرهان لاينفك عن الدعوة والبيان .

ولذلك كانت حجة القرآن الكريم ومعجزته هي أكبر المعجزات وأقوى الحجج . هي أكبر المعجزات التي شهد الله تعالى بها بصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، وهي أكبر معجزة أيده الله تعالى بها وأبقاها حجة على العالمين كلهم إلى يوم الدين، كما جاء في صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ : «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطيَ من الآيات مامثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

قال المحققون من العلماء : المراد من هذا الحديث أن معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم قد انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، وأما معجزة القرآن فهي باقية مستمرة إلى يوم القيامة، وخَرْقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وفي إخباره بالمغيبات مستمر فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شئ مما أخبربه القرآن الكريم أنه سيكون . فخرقه للعادة بتلك الوجوه المتعددة يدل على صحة دعواه وصدق الذي أنزل عليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، وأنه حقًا

رسول الله ﷺ كما أن المعجزات الماضية كانت حسيةً تُشاهَد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى وإحياء الموتى على يد عيسى عليهم الصلاة والسلام ، وأما معجزة القرآن الكريم فإنها تشاهد بالبصر والبصيرة فيكون من يتبعه ﷺ أكثر ، لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده وأما الذى يشاهد بعين البصيرة ونور العقل فهو باقٍ يشاهده من جاء بعده إلى يوم الدين ، فإنه كلام معجز لايقدر أحد أن يأتي بمثله ولابسورة مثله ، يشهد بذلك كل ذي عقل ورويَّة .

وبناء على ذلك فلا يمكن أن يزاد فيه أو أن ينقص، لأن المزيد فيه ليس بمعجز ، والناقص منه يُخِلُّ بإعجاز الباقى بتركيبه وأسلوبه ومناسبته ، وبذلك يخرج عن كونه معجزاً، وهذا مستحيل، لأن صفة الإعجاز لاتفارقه، لأن الإعجاز هو جعل الله تعالى إياه معجزاً، فكما أنه تعالى جعل القرآن عربياً قال تعالى ﴿ إنا جَعَلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ ولايمكن تجريده عن العربية ، كذلك جَعل القرآن معجزاً فلا يمكن تجريده عن صفة الإعجاز ، فلايتصور القرآن بحال من الأحوال غير معجز، كما لايتصور بحال من الأحوال غير عربي ، وليس هذا الجعل تخليقياً بل هو جعل التقدير ، كما نبه عليه المحققون ، فإن القرآن غير مخلوق أصلًا ولا وصفاً .

على أنه لو أمكن أن يجرى على القرآن زيادة أونقص أوتَحريف أوتبديل لكانت هذه المعجزة الكبرى التي أبقاها الله تعالى حجة إلى يوم الدين مصدقةً لرسول الله ﷺ على العباد كلهم وبينةً على صدقه ﷺ - لكانت تلك الحجة غير موثقة ولامضمونة ولامصونة ، بل

يدخلها الدخيل ، وتتسرب إليها الأباطيل والأضاليل ، فأى حجة وبينة له ﷺ باقية بعدُ حينئذ بالقرآن الكريم ؟ تعالى الله عن ذلك !

فهذه الوجوه من الأدلة كلها تُحتِّم وتُوجب القطع أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى عن التحريف والتبديل والتلاعب .

(٧) أن القرآن الكريم هو الأصل الأصيل والركن الركين فى الشريعة المحمدية المشتملة على القضايا الإيمانية والأحكام العملية والقولية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وقد جاءت السنة النبوية المحمدية المشتملة على أقواله وأفعاله ﷺ وتقريراته بياناً للقضايا الايمانية والأحكام الشرعية التي جاءبها القرآن قال تعالى ﴿وأنزلْنا إليك الذِّكْرَ لتبيِّن للناس مانُزِّلَ إليهم من ربهم ولعلهم يتفكَّرون ﴾ .

وقد بيَّن ﷺ ماجاء في القرآن الكريم من العقائد الايمانية وبيَّن ماجاء فيه أيضاً من الأحكام : الأوامر والمناهي ، الحلال والحرام ، وإلى ماوراء ذلك .

فلوجاز أن يجريَ على القرآن الكريم تحريف أوتبديل أوزيادة أونقص لأدَّى ذلك إلى وقوع الخلل والعبث في الشرع المحمدي الواجب اتباعه والعمل به إلى يوم الدين، ولوجاز أن يجري على القرآن شئ من التحريف والتبديل لأدى ذلك إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال ، والنقص في الأوامر والمناهى التي جاءت في القرآن الكريم، ويخرج حينئذ عن كونه شرعاً حكيماً موثوقاً يجب التمسك به إلى يوم الدين، وهذا محال شرعاً وواقعاً وعقلًا ، فإننا نرى أن النبي ﷺ قد أمر وأوصى بالتمسك بالكتاب والسنة إلى يوم الدين ، وأمر العباد بإحلال الحلال وتحريم الحرام فيهما دون أن يحِلُّوا أويحرموا من تلقاء أنفسهم .

قال صلى الله عليه وسلم : « فإذا ذُهبَ بي فعليكم بكتاب الله تعالى أحِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه » .

وروى الطبراني بإسناد جيد عن أبي شُريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ » قالوا : بلى . قال : « إن هذا القرآن طَرَفُه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسَّكوا به ، فإنكم لن تَضِلوا ولن تَهْلِكوا بعده أبداً » .

وروى الطبراني بسند رواته ثقات عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أطيعوني ماكنت بين أظهركم ، وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه » .

فلو جاز أن يجري على القرآن تحريف في كلمة أو زيادة أو نقص لأدى ذلك إلى وقوع الخلل في هذه الشريعة المحمدية التي كلف الله تعالى العباد أن يتمسكوا بها إلى يوم القيامة فلابد وأن هذا القرآن محفوظ ، وأن الشريعة المحمدية محفوظة باقية بتمامها إلى يوم الدين . كما قال صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على مثل البيضاء ليلُها كنهارها لايَزِيغ عنها إلا هالك » . رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن ورواه غيره أيضاً بأسانيد متعددة .

الأمر الإلهي ثم النبوى بتلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى ﴿قل إنما أمرتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدةِ الذي حرَّمها وله كلُّ شيء وأمرتُ أن أكون من المسلمين وأن أتلوَ القرآنَ ﴾ الآية .

وقال تعالى ﴿أتلُ ماأوحيَ إليكَ من الكتاب وأقِم الصلاةَ إن الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر ولَذِكرُ الله أكبرُ والله يعلمُ ماتصنعون ﴾ . فقد أمر الله تعالى بتلاوة القرآن الكريم، والتلاوة في أصل معناها اللغوي هي المتابعة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿والشمسِ وضُحاها والقمرِ إذا تلاها ﴾ أي تَبِعها . فهنالك تلاوة باللسان ، وهي قراءة كلمات القرآن وحروفه . وقد جاءت الأحاديث في فضلها ، ومن ذلك ماجاء في صحيح الترمذي وغيره : « مَن قَرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها» الحديث كما سيأتى في محله .

وهناك تلاوة للقرآن بالأعمال والأقوال ، وهي العمل بمقتضى القرآن الكريم ائتماراً بأمره وانتهاءً عن نهيه ، وتأدباً بآدابه وتخلقاً بأخلاقه ، إلى ماوراء ذلك ، فتلاوة القرآن الكريم حق تلاوته تشمل ذلك كله .

وأما الأحاديث النبوية التي جاءت في الأمر بقراءة القرآن الكريم فهي كثيرة، ومن ذلك مارواه مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » الحديث .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قلت : يارسول الله أوصني فقال : « عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخرٌ لك في السماء » رواه ابن حبان في صحيحه .

وروى الدارمي بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

« أكثِروا تلاوةَ القرآن قبل أن يُرفَع » قالوا : هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الرجال ؟ فقال : « يُسرَى عليه ليلًا فيصبحون منه فقراء و ينسون قول لا إله إلا الله ، ويقعون فى قول الجاهلية وأشعارهم ، وذلك حين يقع عليهم القول ».

وروى ابن ماجة والحاكم والبيهقى : «يُدرَسُ الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوبِ حتى لا يُدرَى صيامٌ ولاصلاةٌ ولا نُسُكٌ ولاصدقةٌ ، ويُسْرى على كتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءَنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله ، فنحن نقولها»[1].

الأمر بتعاهد القرآن خوف النسيان

روى الشيخان والإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعاهدوا هذا القرآن، فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تَفَلُّتاً – وفى رواية : تَفَصِّياً – من قلوب الرجال من الإبل من عُقُلها » والمعنى : أن المؤمن ينبغي له أن يحافظ على تلاوة القرآن الكريم خشية أن يتفلت منه وينساه .

وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعَقَّلَةِ: إن عاهد عليها أمسكها ، وإنْ أطلقها ذهبت » .

---

(١) انظر الفتح الكبير ٣ : ٤٢ .

التحذير من الإعراض عن القرآن وتعريضه للنسيان

روى الترمذى وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذى ليس فى جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخَرِب ».

ـ وروى أبو داود والترمذى وغيرهما عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «عُرضَت عليَّ أجورُ أمتي حتى القَذاةُ يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر فيها ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها »».

وروى أبوداود عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » والأجذم : هو المصاب بداء الجذام وهو داء يتقطع به اللحم .

وأكثر العلماء على أن نسيان القرآن كله أو بعضه ــ يعتبر كبيرةً كما يدل عليه الوعيد الشديد الوارد فِي هذا الحديث، ولكن كما قال الجلال البُلْقيني والزَّركَشى وغيرهما : إن ذلك كبيرة إذا كان عن تكاسل أو تهاون ، وأما إذا كان النسيان بسبب مرض أو كبر سن أو نحو ذلك فلا يدخل تحت هذا الحكم . اهـ كما فى شرح الأذكار. و قال الحافظ السيوطي فى الاتقان : نسيان القرآن كبيرة صرح به النووي فى الروضة . اهـ واستدل على ذلك بما ورد من الوعيد الشديد فى الأحاديث السابقة .

فضل تلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يَتلونَ كتابَ الله وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا مما رزقْناهم سراً وعلانيةً يَرجون تجارةً لن تبورَ لِيُوَفِّيَهم أجورَهم ويزيدَهم من فضله إنه غفور شكور . والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقُّ مصدقٌ لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير . ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطَفَينَا من عبادنا ، فمنهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ﴾ . الآية الأولى من هذه الآيات الكريمة تسمى آية القراء كما قال قتادة : كان مطرِّف رحمه الله تعالى إذا قرأ هذه الآية يقول : هذه آية القراء .

فقد أثنى الله تعالى فى تلك الاية الكريمة على القراء الذين يتلون الكتاب ويعملون به ، فيصلون وينفقون ويقومون بأوامره سبحانه ، ثم بشَّرهم بما وعدهم من الثواب العظيم والنعيم المقيم فقال سبحانه : ﴿ ليوفِّيهم أجورهم ﴾ أى أجورهم فى مقابل أعمالهم، فإن الأجر هو ما كان مقابلًا بعمل، ولكن ليس هذا ثوابَهم فحسبُ ، بل هناك الفضل من الله تعالى بالزيادة ، يزيدهم بها من لدنه ، وهذه الزيادة من فضله لا يعلم قدرها ومقدارها إلا الله ذو الفضل العظيم، وأعظم الفضل الذى تفضَّل به عليهم – وهوأعظم الزيادات في ثوابهم وتكريمهم – أن يَكشف لهم الحجاب حتى ينظروا إليه سبحانه ، كما روى مسلم وعيره عن صهيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقول الله تعالى :

أتريدون شيئا أزِيدُكم ؟ فيقولون : ياربنا ألم تبيضْ وجوهنا ؟ ألم تُدخِلْنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ .

قال : فيكشف الحجاب ، فما أُعْطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ، ثم قرأ قو ل الله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ ﴾ الآية . اللهم اجعلنا منهم .

ثم ذكر سبحانه فضل هذا الكتاب العزيز وفضل الذي أنزل عليه ، وذلك أن هذا القرآن هو الحق مصدقاً لما سبقه من الكتب الإلٰهية النازلة على الرسل صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ، وأنه تعالى بعباده خبير بصير ، فهو يعلم القلب المستعدَّ لنزول هذا القرآن عليه من بين قلوب الرسل ، ألا وهو قلب السيد الأكرم ﷺ الذي أعدَّه الله تعالى وأمدَّه . قال تعالى : ﴿ نَزَل به الروحُ الأمين على قلبِكَ لتكونَ من المنذِرين ﴾ .

ثم أثنى الله تعالى على هذه الأمة المحمدية على رسولها أفضل الصلاة والسلام بأنها المصطفاة من بين الأمم المخصوصة بوراثة هذا الكتاب العزيز، وحُقَّ لأفضل أمة أن ترثَ أفضل كتاب عن أفضل رسول ، الذي هو إمام الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

ثم صنفهم سبحانه إلى ثلاثة أصناف بالنسبة لأخذهم بالكتاب وتمسُّكهم به : فقال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ وهو التارك لأمر محتم أوفاعل لمنهي عنه محرم ، وهؤلاء المخلِّطون الذين خَلَطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، كما قاله السلف .

ثم قال تعالى ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدِّى للواجبات – أى مابينه وبين الخالق سبحانه – والواجبات مابينه وبين المخلوقات، والتارك للمحرمات كذلك، ويقال لهؤلاء : أصحاب اليمين، ويقال لهم الأبرار عند مقابلتهم بالمقرَّبين .

ثم قال تعالى : ﴿ ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . ذلك هو الفضل الكبير ﴾ . وهؤلاء هم الذين قاموا بجميع الأوامر وتركوا جميع المناهي ، وسبقوا بفعل الخيرات وهي النوافل فوق الفرائض وهذه « الخيرات » في الآية الكريمة هي التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه لمعاذ رضي الله عنه حين قال : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال له صلى الله عليه وسلم : «لقد سألتَ عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه : تعبدالله ولاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت » ثم قال له صلى الله عليه وسلم « ألا أدلك على أبواب الخير »أي : فعل الخيرات وهي النوافل التي إذا فعلتَها فتحتْ لك أبواب الخير الإلٓهي .

فراح هؤلاء السابقون بالخيرات يتقربون إلى الله تعالى بالنوافل ، فنالوا مقاماً عالياً في القرب قال تعالى ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾

وفي الحديث القدسي : « مايزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحِبَّه » الحديث كما في البخاري . وتفصيل الكلام على الفرق بين الأصناف الثلاثة ليس هنا موضعه ، بل تجده في مصنفاتنا .

المواظبة على متابعة الختمات أحب الأعمال إلى الله تعالى

روى الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رجل : يارسول الله أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : «الذي يضرب - أي يبدأ - من أول القرآن إلى آخره : كلما حلَّ ارتحل» .

والمعنى أنه كلما ختم ختمة شرع في غيرها، ولذلك استحسن علماء القرآن لمن يختم الختمة أن يتبعها بفاتحة الكتاب وبفاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ تحقيقاً لقوله ﷺ «كلما حل ارتحل» . وفي هذا الحديث الشريف دليل واضح لمن يريد السير والسلوك تقرباً إلى ملك الملوك ، وذلك بأن يتابع تلاوة الختمات فإن فيها حِلًا وارتحالًا، ويُنتج ذلك قرباً واتصالا ، لأن هذا السير هو السير السريع المنيع ، ولاأسرع منه كما أرشدنا إليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث .

تلاوة القرآن الكريم أفضل العبادات

روى البيهقي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن» .

وروى السجزي في الإبانة عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «أفضل العبادة قراءة القرآن» .

وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «أعبدُ الناسِ أكثرهم تلاوةً للقرآن» .

وفي رواية المرهبي عن يحيى بن أبي كثير مرسلًا : « أعبدُ الناسِ أكثرهم تلاوةً للقرآن ، وأفضل العبادة الدعاء » [1] .

---

(١) انظر ذلك في الجامع الصغير .

يؤجر القارىء بكل حرف حسنة
والحسنة بعشر أمثالها بفهم أو بغير فهم

وروى الترمذى وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لاأقول : آلـم حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وفى هذا الحديث دليل على أن من قرأ القرآن ولو بغير فهم فله ذلك الأجر المضاعف ، لأن أكثرالناس يقرأون «آلـم» ولا يعرفون معناها .

قال الامام النووي رضي الله عنه : اعلم أن المذهب المختار الصحيح الذي عليه مَنْ يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار . اهـ.

قال عبد الله : والدليل على ذلك ماجاء في حديث الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال : «وإن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

أهل القرآن هـم أهل الله تعالى وخاصته

روى النسائى وابن ماجه والحاكم بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إن لله أهلين من الناس »قالوا : من هم يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «أهل القرآن هم أهل الله وخاصتُّه » أي : فمن أراد أن يكون من أهل الله فعليه بالقرآن ،

فهو طريق موصل إلى الله تعالى حقاً ، كما شهد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم اجعلنا من أهل القرآن .آمين .

الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البَرَرة ، والذي يقرأ القرآن ويُتَعْتِعُ فيه وهو عليه شاقٌّ : له أجران »(١) و قد اختلف فى المراد بالسفرة هنا ؟ فقال بعض العلماء : هم الكَتَبة من الملائكة الكرام، لأن الكتاب يسفر أي يبيِّن مايُكتَب، فالكتاب سِفْر وهم سَفَرة، وقال بعضهم : السفرة هم الملائكة الذين هم حملة اللوح المحفوظ . قال تعالى : ﴿بأيدي سَفَرَةٍ كرامٍ بَرَرة﴾ وسُمُّوا بذلك لأنهم ينقلون الكتب الإلهية المنزلة إلى الأنبياء، فكأنهم سفرة . وقال بعضهم : السفرة هم المقرّبون من الملائكة .

قارئ القرآن يحدّث ربه تعالى ويناجيه

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا أحبَّ أحدُكم أن يحدِّث ربَّه فليقرأ القرآن»(٢).

وتسمى سورة الفاتحة سورةَ المناجاة ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال العلامة المُناوي رحمه الله تعالى : وهذا – أى معنى أن القارئ يحدِّث ربه – من باب الاستعارة بالكناية، فإن القرآن الكريم هو رسالة

---

(١) يعنى : أن القارئ الذى يقرأ بدون تلعثم ومشقة مع السفرة السابقين، والذي يقرأ بكلفة ومشقة فله أجران

(٢) رواه الخطيب وصاحب الفردوس .

من الله تعالى لعباده ، فكأن القارئ يقول : ياربّ قلتَ كذا وكذا ، فهو مناجٍ لله تعالى .

من أحبَّ القرآنَ فقد أحبَّه اللّهُ ورسولُه ﷺ

روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يحبه الله ورسوله فلينظر : فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله » .

القرآن مأدبة الله تعالى فمن دخله فهو آمن

روى الدارمي بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «اقرأوا القرآن ، فإن الله لا يعذِّب قلباً وَعَى القرآن ، إنّ هذا القرآن مأدُبة الله تعالى فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن أحب القرآن فليُبْشِر» أي : فليستبشر .

وروى الحاكم و صححه والدارمى أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :«إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فاقْبَلوا مأدبته مااستطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين، والشفاء النافع ، عصمةٌ لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، ولا يَزيغ فيُستَعْتَب ، ولايَعْوجُّ فيقوَّم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَق على كثرة الرد[1] اتْلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كلِّ حرف عشرَ حسنات ، إنى لاأقول آلم

---

(١) يعنى : أن القرآن الكريم مهما ردده القارئ وقرأه وأعاده لايمله ولا يسأمه بل يجده حلوا جديدا .

حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[١] .

البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة ويتسع على أهله

روى الإمام محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « إن البيت إذا قرىء فيه القرآن حضرته الملائكة وتنكَّبَتْ – أي تباعدت – عنه الشياطين ، واتَّسَع على أهله ، وكثُر خيره وقلَّ شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتنكبت عنه الملائكة ، وضاق على أهله ، وقلَّ خيره وكثر شره » .

وقال : وفي الباب عن أبي هريرة موقوفاً وعن ابن سيرين . اهـ .

قلت وأثر أبي هريرة رواه الدارمي .

وروى الدارقطني في الأفراد عن أنس وجابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «أكثروا من تلاوة القرآن فى بيوتكم ، فإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقلُّ خيره و يكثر شره ويضيق على أهله»[٢]

البيت الذي يقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء

روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض» .

وروى أبو نعيم في المعرفة عن أبي جُحَيفة الجُمَحي رفعه : «إن البيت الذي يُذكَر[٣] الله فيه ليضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم

---

(١) انظر ترغيب المنذري .

(٢) انظر الجامع الصغير والفتح الكبير ١ : ٢٢٥ .

(٣) ومن المعلوم كما نص عليه العارفون أن أفضل الأذكار الإلٓهية هو القرآن الكريم .

لأهل الأرض »[1]

وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما مرفوعاً : « إن بيوتات المؤمنين لَمصابيح إلى العرش يعرفها مقرَّبُوا السمٰوات السبع يقولون : هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يُتْلى فيها القرآن »[2] .

وروى أبونعيم في الحلية عن ابن عمرو مرفوعاً : « كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم »[3] .

قراءة القرآن فيها الخير الكثير

روى الإمام مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُّفَّة فقال : « أيُّكم يحبُّ أن يغدوَ كلَّ يوم إلى بُطحَانَ أو إلى العقيق ويأتي بناقتَين كَوْماوَيْن – أي عظيمتَي السنام – من غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ » أي من طريق سهل حلال . قلنا : يارسول الله كلنا يحبُّ ذلك . فقال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلمَ أو يقرأَ آيتين من كتاب الله تعالى فهو خير له من ناقتين ، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاث ، وأربعٌ خير له من أربع ، ومن أعدادهنَّ من الإبل » .

تلاوة القرآن تطيب القارىء

روى الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن

---

(١) انظر شرح الإحياء .

(٢) انظر كنز العمال ١ : ٥٥٤ .

(٣) انظر الجامع الصغير والفتح الكبير ٢ : ٣٢١ .

النبي ﷺ قال : «مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأترجَّة[1] ريحها طيب ؛ وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن مثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو ؛ ومَثَل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرَّيحانة ريحها طيب وطعمها مرّ، ومَثَل المنافق الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مرّ ».

تلاوة القرآن الكريم جِلاء للقلوب

رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذه القلوب تَصدأ كما يَصدأ الحديد إذا أصابه الماء » . قيل : يارسول الله وما جِلاؤها ؟ قال : « كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن[2] » .

تلاوة القرآن الكريم تنفع القارئ ووالديه

روى أبوداود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من قرأ القرآن وعمل به أُلبسَ الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسنُ من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنُّكم بالذي عَمِل به ؟ » .

والمعنى أنه إذا كان والدا القارئ يُلبَسان هذا التاج الوضَّاء فماذا يُعطى القارئ من الأجر ، وماذا يُلبس من تيجان الكرامة ؟ نعم إن ثوابه وإكرامه لأعظم من ذلك . جَعَلنا الله تعالى منهم . آمين .

---

(١) الأترجة : هي ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون. وهي المعروفة في بلاد الشام باسم الكباد . (٢)رواه البيهقي في شعب الإيمان .

خير الناس أقرؤهم

روى الإمام أحمد والطبراني عن درّة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : «خير الناس أقرؤهم وأفقهُهم في دين الله، وأتقاهم لله، وآمَرُهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرَّحِمِ»(١) .

يقدَّم الأقرأ على غيره شرعاً

روى الإمام مسلم وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله تعالى » .

وفي رواية أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله تعالى، فإن كانوا في القرآن سواءً فأعلمُهم بالسُّنَّة ، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمُهم سناً، ولايُؤمَّنَّ الرجلُ في أهله، ولافي سلطانه ، ولايُقْعَد في بيته على تكرِمته إلا بإذنه» .

وروى البخاري وغيره أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد ثم يقول : «أيُّهما أكثرُ أخذاً للقرآن ؟» فإن أشِير إلى أحدهم قدَّمه في اللحد .

وروى أصحاب السنن عن هشام بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «احفِروا وأعمِقوا وأوسِعوا وادفِنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد وقدّموا أكثرهم قرآناً»(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان القُراءُ أصحابَ مجلسِ عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولًا كانوا أوشبّاناً .

---

(١) انظر الجامع الصغير والفتح الكبير ٢ : ٩١ .

(٢) انظر الفتح الكبير ١ : ٥٣ .

إكرام أهل القرآن من تعظيم شعائر الله تعالى

قال الله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّم شعائرَ الله فإنَّها مِن تَقْوَى القُلُوب ﴾ .

شعائر الله تعالى هي معالم دينه وحَمَلةُ شريعته، فمعالم الدين : تشمل المصاحف القرآنية ومساجد الصلوات ومناسك الحج إلى ماوراء ذلك .

وحملة شريعته : تشمل العلماء والقراء، وقد استدل الإمام النووي رضي الله عنه بهذه الآية الكريمة على وجوب إكرام أهل القرآن ، لأنهم من شعائر الله تعالى، كما يجب تعظيم العلماء الذين هم حَمَلة دين الله تعالى ولايجوز إيذاؤهم ولاتحقيرهم ولا الاستهانة بهم، فإن إيذاءهم والاستهانةَ بهم علامة على النفاق وسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .

وقد نقل الإمام النووي عن الإمامين الكبيرين أبي حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا : إن لم يكنِ العلماءُ أولياءَ الله تعالى فليس لله تعالى وليّ . اهـ كما نقل أيضاً عن الحافظ ابن عساكر أنه قال : اعلم ياأخي – وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حقّ تقاته – أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله تعالى في هتك أستار منتقصيهم مغلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلب، ابتلاه تعالى قبل موته – جسماً– بموت القلب ، فلْيحذرِ الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاثة لايَستخِفُّ بحقهم إلا منافق : ذوالشيبة في الإسلام ، وذوالعلم ، وإمامٌ مقسط» .

وروى أبوالشيخ عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاثة لايستخف بحقهم إلا منافق بيِّن النفاق : ذوالشيبة في الإسلام

والإمام المقسط ، ومعلِّم الخير » .

إكرام حامل القرآن من اجلال الله تعالى

روى أبوداود عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المُقسِط» .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أمَرَنا رسول الله ﷺ أن نُنزل الناس منازلهم . رواه أبوداود وذكره مسلم في مقدمة صحيحه .

القارئ لايَهوله الفزع الأكبر يوم القيامة

روى الطبراني بإسناد لابأس به عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «ثلاثةٌ لايَهولُهم الفزع الأكبر، ولاينالهم الحساب، وهم على كُثُب من المسك حتى يُفرغ من حساب الخلائق : رجلٌ قرأ القرآن ابتغاءَ وجه الله تعالى وأمّ قوماً وهم به راضون ، وداعٍ - أي مؤذنٌ - يدعو إلى الصلوات ابتغاءَ وجه الله ، وعبدٌ أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه» .

شفاعة القرآن الكريم لقارئه

روى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .. » الحديث يأتي بتمامه .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «القرآن شافعٌ

مشفَّعٌ ، وماحِلٌ مصدَّقٌ ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار » رواه ابن حبان في صحيحه[1].

وشفاعة القرآن للقارئ قد تكون بمغفرة الذنوب، وقد تكون برفع الدرجات والحلية بالكمالات :

فالأولى : يدل عليها مارواه الترمذي وأبوداود وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن سورةً من القرآن ثلاثون آية شَفَعتْ لرجل حتى غفر الله له، وهي ﴿تَبَارَكَ الذي بيده الملك﴾ » .

والثانية : يدل عليها مارواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يجئ صاحبُ القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يارب حَلِّه، فيُلبَس تاج الكرامة، ثم يقول القرآن : ياربِّ زِده، فيُلْبَسُ حُلَّة الكرامة - أي ثوبًا سابغاً كريماً شعارَ أهل الكرامة عند الله تعالى - ثم يقول القرآن : ياربِّ ارضَ عنه، فيرضى عنه، فيقال للقارئ : اقرأ وارْقَ ، ويَزداد بكلّ آية حسنة» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : رب إني منعتُه الطعامَ والشرابَ بالنهار، فشفِّعني فيه ، ويقول القرآن : ربِّ إني منعتُه النومَ بالليل ، فشفِّعني فيه، فيُشفَّعان » رواه الإمام أحمد .

---

(١) انظر ترغيب المنذري . ومعنى : «ماحل» خصم مجادل مصدَّق . والمراد : مقبول الشفاعة .

القارىء لايزال يترقى في المنازل يوم القيامة

روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأْ وارقَ ورتِّلْ كما كنتَ ترتِّلُ في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ».

وروى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « عددُ درجِ الجنة عَدَدُ آيِ القرآن ، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن لم يكن فوقه أحد »[١] .

فصاحب القرآن لاينقطع عن قراءته في الجنة، فهو يقرأ ويترقى في الدرجات ويزداد من الحسنات كما تقدم : «يقال للقارئ : اقرأْ وارقَ ويزداد بكل آية حسنة» . الحديث .

تلاوة القرآن الكريم تنفح السامعين بالطيب وتتضوَّع بالمسك

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن القرآن مَثَلُه كمثل جِراب فيه مسك قد ربَطتَ فاه، فإن فتحتَه فاح ريح المسك، وإن تركتَه كان مسكًا موضوعاً، مثَل القرآن إن قرأتَه وإلّا فهو في صدركَ» . رواه الحكيم الترمذي، كما في الفتح الكبير .

فضل القراءة في الصلاة على غيرها

رُوي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : «قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة، وقراءة القرآن في غير الصلاة

---

(١) انظر الفتح الكبير : ٣٩٦ .

أفضل من التسبيح والتكبير ، والتسبيح أفضل من الصدقة - أي النافلة - والصدقة أفضل من الصوم - أي النفل - والصوم جُنَّة من النار[١]».

مضاعفة القراءة في المصحف على غيرها

عن أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « قراءة الرجل في غير المصحف ألفُ درجةٍ ، وقراءته في المصحف تَضَعَّفُ على ذلك إلى ألفي درجة[٢] » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « مَن سرَّه أن يحبَّ الله ورسولَه فليقرأ في المصحف »[٣] .

وروى ابن مردويه عن عَمرو بن أوس مرفوعاً : «قراءتك نظراً تضاعف على قراءتك ظاهراً كفضل المكتوبة على النافلة[٤]» .

وروى البيهقي والحكيم الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : «أعطوا أعينَكم حظَّها من العبادةِ : النظرِ في المصحف، والتفكرِ فيه ، والاعتبارِ عند عجائبه » .

---

(١) رواه البيهقي في الشعب على ضعف في إسناده ، ورواه الدارقطني في الأفراد كما في الفتح الكبير وأصله .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي على ضعف في سنده .

(٣) رواه أبونعيم والبيهقي ، كما في الجامع الصغير رامزاً لضعفه .

(٤) انظر الفتح الكبير وأصله .

وروى ابن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل البيت نَشَرَ المصحف فقرأ فيه .

وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : ماأحبُّ أن يأتيَ علي يوم ولاليلة إلا أنظر في كتاب الله تعالى . يعنى القراءة في المصحف .

وروى البيهقي بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : أديموا النظر في المصحف .

وروى ابن سعد أنه قيل لنافع : ماكان يصنعُ عبدالله بن عمر في منزله ؟ فقال : لاتطيقونه : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما.

وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا افتتح المصحفَ ليقرأ بدأ فقال : اللهم أنتَ هديتَني ولوشئتَ لم أهتدِ، لاتُزِغْ قلبي بعد إذ هديتنى وهبْ لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى ونفعنا به : قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر . هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبوحامد الغزالي وجماعات من السلف .

ثم بيَّن الإمام النووي رحمه الله تعالى أنه لوقيل بالتفصيل لكان القول حسناً ، وذلك أنه يختلف باختلاف الأشخاص فأيَّةُ القراءتين أقربُ إلى الخشوع والتدبُّر فهي أفضل . قال : والظاهر من كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفسير . اهـ .

وقال الحافظ في الفتح : وقد صرَّح كثير من العلماء بأن القراءة من المصحف نظراً أفضل من القراءة عن ظهر قلب . قال : وأخرج أبوعبيد من طريق عبدالله بن عبدالرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ رفعه قال : «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة» .

قال الحافظ في الفتح : وإسناده ضعيف، قال : ومن طريقه – أي روى أبوعبيد – من طريق ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً : أديموا النظر في المصحف . قال وإسناده صحيح[١] اهـ .

مِن أعظم إكرام الله تعالى لأهل الجنَّة أن يُسمعهم القرآن منه سبحانه

روى الترمذي الحكيم عن بُريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن أهل الجنة يَدخلون على الجبار كلَّ يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كلّ امرئ منهم مجلسَه الذي هو مجلسه[٢] على منابر الدرِّ والياقوت والزمرُّد والذهب والفضة بالأعمال ، فلاتقَرُّ أعينهم قطُّ كما تقرُّ بذلك ، ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه . ثم ينصرفون إلى رحالهم وقُرَّة أعينهم ناعمين إلى مثله من الغد»[٣].

وهذا من أعظم النعيم وأجلِّ أنواع التكريم . وتعتريهم لذة في

(١) انظر فتح الباري ٩ : ٧٨

(٢) يعنى أن كلًّا منهم يجلس في مجلسه المُعَدِّ له والمستعِدِّ له دون أن يكون فوضى في المجالس .

(٣) انظر الفتح الكبير ١ : ٣٨١ .

سماعهم ما ذاقوا لها من قبلُ مثيلًا ولا مِعشاراً منها ولا فتيلًا ، كما روى السِّجزي في «الإبانة» : عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «كأن الناس لم يسمعوا القرآنَ حين يتلوه اللهُ عليهم في الجنة» .

وروى صاحب الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «كأن الخَلقَ لم يسمعوا القرآن حين يسمعونه من الرحمن يتلوه عليهم يوم القيامة»[1] والذي يظهر أن هؤلاء المكرَمين الذين يسمعون كلامَ الله تعالى من الحق كل يوم مرتين - هم من أعلى أهل الجنة منزلةً، وأما غيرهم فلكلٍّ منهم نصيبٌ حسب مقامه . يدل على ذلك ماجاء في سنن الترمذي والمسند وغيرهما واللفظ للترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «إن أدنى أهلِ الجنة منزلةً لَمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونِعَمه وخدمه وسُرُره مسيرةَ ألفِ سنة - وفي رواية المسند : ألفيْ سنة - يرى أقصاه كما يرى أدناه . قال ﷺ : وأكرمهم على الله تعالى من ينظر إلى وجهه الكريم غَدوة وعشيةً»

وقد روي أن الله تعالى يقرأ على جميع أهل الجنة سورة الرحمن، ليُقرُّوا له بالفضل والامتنان .

نزول السكينة وتنزُّل الملائكة لقراءة القرآن الكريم

روى الإمام مسلم في حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قال رسول الله ﷺ : «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله

---

(١) انظر الفتح الكبير ٢ : ٣١٥ .

تعالى يتلون كتابَ الله تعالى ويتدارسونـه بينهم إلا نزلتْ عليهم السكينـةُ ، وغَشِيَتْهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وفي رواية الحلية عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مجالس الذكر - أي : وأفضلها مجالس القرآن - تنزلُ عليهم السكينة وتَحُـفُّ بهم الملائكـة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم على عرشه» .

وروى البخاري عن أُسيد بن حُضير رضي الله عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطةٌ عنده إذ جالت الفرس - أى اضطربت - فسكت - أى أمسك عن القراءة - فسكنتِ الفرس، فقرأ فجالت، فسكت فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت، وكان ابنه يحيى قريبا منها فانصرف فأخَّره، ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثلُ الظُّلَّة - السحابة - فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدّث النبيَّ ﷺ، فقال ﷺ : «وتدري ماذاك ؟» قال : لا . فقال ﷺ : « تلك الملائكةُ دَنَتْ لصوتك، ولو قرأت لأصبحتَ ينظر إليها الناس لاتتوارى منهم ». أى لاتختفي عنهم بل كلهم يرون الملائكة .

وفي روايةٍ لمسلم : فرأيت مثل الظُّلة فيها أمثال السُّرُج عرجتْ في الجوّ حتى ماأراها ! فقال ﷺ «تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك» وفي رواية «تلك الملائكةُ تَستمعُ لك» وفي رواية للحاكم : «تلك الملائكة نـزلتْ لـقراءة القـرآن أمـا إنـك لومضـيتَ - أى لـوبقـيتَ علـى قراءتك - لرأيتَ العجائب» .

وروى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشَطْنَينِ - أى حبلين -

فتغشَّته سحابة فجعلت تدنو وتدنو - أي تقرب من مكان القارىء - وجعل فرسه ينفِر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ : « تلك السكينةُ تنزلتْ للقرآن » وفي رواية الترمذي : « نزلتْ مع القرآن ، أو على القرآن » .

البيوت التي يقرأ فيها القرآن تضيء بالأنوار

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «نوِّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » . وتقدم فى الأحاديث أن بيوت القرآن تضيُ لأهل السماوات .

و روى أبو داود من طريق مرسلة : قيل للنبى ﷺ : ألم تر لثابت ابن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح ؟ فقال النبى ﷺ : «فلعله قرأ سورة البقرة ؟ »فسئل ثابت فقال : قرأت سورة البقرة . كما فى تفسير ابن كثير وغيره .

أصغر البيوت وأحقرها بيت لا يتلى فيه كتاب الله تعالى

روى النسائى فى عمل اليوم والليلة ، عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا أُلفِيَنَّ - أى لاأجِدنَّ - أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى يتغنى ويدع - أى يترك - البقرة يقرؤها، فإن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصغر البيوت الجُوْفُ الصُّفْر - أى الخالية - من كتاب الله تعالى » .

حفظ الملائكة لقارئ القرآن

روى الترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : «مامن مسلم يأخد مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكَّل الله له ملكاً فلايقرَبُهَ شئ يُؤذيه حتى يهبَّ من نومه متى هبَّ».

ورواه أحمد بلفظ : «بعث الله له ملكًا يحفظه من كل شئ يؤذيه حتى يهبّ متى هبّ» قال المنذري : وررواة أحمد رواة الصحيح . اهـ .

الله تعالى يحب من يتلو كتابه في الليل

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يحبُّهم الله عزّ وجلّ : رجلٌ قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله، ورجل كان في سَرِية فانهزم أصحابه فاستقبل العدوَّ» .

تلاوة القرآن الكريم تُنزِّل البركة

.روى الحكيم الترمذي عن الحكم بن عمير مرفوعاً : « تَبَرَّكْ بالقرآن فهو كلام الله تعالى »[١] .

البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن قليل الخير كثير الشر

روى الدارقطني في الأفراد عن أنس وجابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أكثِروا من تلاوة القرآن في بيوتكم ، فإن البيت الذي لايُقرأ فيه القرآنُ يَقِلُّ خيرُه ويكثر شرّه ، ويَضيق على أهله[٢] ».

فأكثرْ أيها المسلم من تلاوة القرآن الكريم في بيتك ليَتَّسِعَ خُلُقك ورزقك وليطيب عيشك .

---

(١) انظر الفتح الكبير .

(٢) انظر الجامع الصغير .

تالي القرآن على الناس ينال حظه
من شرف التبليغ عن رسول الله ﷺ

روى البخارى عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بلِّغوا عنى ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار » . ورواه الترمذي والامام أحمد .

فينبغي لمن يتلو كلام الله تعالى على عباد الله تعالى أن يقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى والتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلًا أمره صلى الله عليه وسلم بذلك .

الله تعالى يحب العبد يتلو آياته في الليل وقد نام أصحابه

روى الترمذي والنسائي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة يُحبُّهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله، فرجل أتى قوماً فسألهم بالله - ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم - فمنعوه، فتخلَّف رجل بأعقابهم - أي تأخر عنهم وتوارى - فأعطاه سرًّاً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم ممَّا يُعدَل به - أي أحبَّ من كل شيء من الدنيا - فوضعوا رؤسهم فقام أحدهم يَتَملَّقُني ويتلو آياتي ؛ ورجل كان في سَرِيَّة فلقي العدوَّ فهُزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يُفتَح له . والثلاثة الذين يبغضهم الله : فالشيخ الزاني، والفقير

المختال ، والغني الظلوم »[1] .

فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم ومدارسته

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّر على مُعسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن سَتَر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمِسُ فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغَشِيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ؛ ومن بَطَّأ به عملُه لم يُسرِع به نَسَبُه » .

وفي هذا الحديث الشريف جوامع من كَلِمه صلى الله عليه وسلم الجامعة لأنواع من العلوم والحكم ، فيها الإرشادات والتوجيهات ، وبيان مراتب جُمَل من البر والإحسان ، ومن القربات والطاعات ، وبيان لمقابلاتها وأجزيتها .

الأولى : الحثُّ على تنفيس الكَرب عن المكروبين، والكُربة هي : الشدَّة العظيمة توقع صاحبها في الكَرب، وتنفيسها هو : أن يخفِّف عن المكروب من شدتها إن لم يستطع إزالتها وتفريجها عنه، فإن التفريج أعظم ، وهو أن يزيل الكربة عن المكروب ، وبذلك يزول همه وغمه ،

---

(١) انظر جامع الأصول ٩ : ٥٦٣ .

فجزاء التنفيس هو التنفيس ، وجزاء التفريج هو التفريج ، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني عن كعب بن عُجْرَة عن النبي ﷺ قال : « من نَفَّس عن مؤمن كربة من كربه نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته ، ومن فَرَّج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته » .

الثانيـة : الحثُّ على التيسير على المعسِر « ومن يسَّر على معسِر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة » وفي هذا دليل على أن يوم القيامة فيه مَن هو ذو يُسْر ومن هو ذو عُسر . والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال هو إما بانتظاره إلى الميسرَة، وذلك واجب لقوله تعالى ﴿وإنْ كان ذوعُسرةٍ فَنَظِرَةٌ إلى ميسرة﴾ وإما بالوضع عنه إن كان غريماً ، وإلا فبإعطائه مايزول به إعساره .

الثالثـة : الحثُّ على ستر المسلم « ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة » .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضـي الله عنهما أن النبـي ﷺ قال : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يَفْضَحه بها في بيته» .

الرابعـة : الحثُّ على إعانة المسلمين «والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه» وقد روى الطبراني من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوتَ عورته أو أشبعت جَوعته أو قضيتَ له حاجة» .

الخامسة : الحثُّ على سلوك طريق العلم « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة » .

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك طريقه ويُيَسِّره عليه ، فإن العلم طريق يوصل إلى الجنة ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ ولقد يَسَّرنا القرآنَ للذِّكر فهل من مُدَّكر ﴾ وقد يراد أيضاً أن الله تعالى يُيَسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله تعالى والانتفاع به والعمل بمقتضاه فيكون سبباً لهدايته ولدخول الجنة بذلك ، وقد يُيَسر الله تعالى لطالب العلم علوماً أخر ينتفع بها وتكون موصلة إلى الجنة كما قيل : من عَمِل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم .

ثم قال : وقد يدخل في ذلك أيضاً تسهيل طريق الجنة الحسنى يوم القيامة وهو الصراط وماقبله ومابعده من الأهوال، فيُيسَّر ذلك على طالب العلم للانتفاع به، فإن العلم يدل على الله تعالى من أقرب الطرق إليه ، فمن سلك طريقه ولم يعوجَّ عنه وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، فسهلت عليه الطرق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا والآخرة، فلاطريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاوَرته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه وبه يُهْتَدَى في ظلمات الجهل والشُّبَه والشكوك . قال تعالى ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين يَهدِي به الله مَنِ اتَّبعَ رِضوانَه سُبُلَ السلامِ ويُخرِجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويَهديهم إلى صراط مستقيم﴾ .

السادسة : الحثُّ على مدارسة كتاب الله تعالى والاجتماع على تلاوته قال ﷺ : «وماجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يَتلونَ كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلتْ عليهم السكينةُ وغشيتْهمُ الرحمةُ وحفَّتْهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» .

وهذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا يشمل الاجتماع على تَعَلُّم القرآن وتعليمه، ويشمل الاجتماع في المساجد على دراسة القرآن مطلقاً .

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أيّ العملِ أفضلُ ؟ قال : ذِكرُ الله تعالى، وماجلس قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتعاطَون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه إلا أظلَّتْهم الملائكة بأجنحتها وكانوا أضياف الله مادامـوا على ذلك حتـى يخوضوا في حديث غيره . وروي هذا مرفوعاً والموقوف أصح ، كما نبه عليه العلامة ابن رجب الحنبلي .

قال : وروى يزيد الرَّقاشي عن أنس رضي الله عنه قال : كانوا إذا صلَّوا الغداةَ قعدوا حِلقاً حِلَقاً يقرءون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله تعالى ، قال : وروى عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « مامِن قوم صلَّوا صلاةَ الغداةِ ثم قعدوا في مصلّاهم يتعاطون كتاب الله ويتدارسونه إلّا وكَّل الله تعالى بهم الملائكة يستغفرون لهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

قال رحمه الله تعالى : وهذا يدل على استحباب الاجتماع بعد صلاة الغداة لمدارسة القرآن ، ولكن عطية فيه ضعف ، وقد روى حرب

الكرماني بإسناده عن الأوزاعي أنه سئل عن المدارسة بعد صلاة الصبح ؟ فقال : أخبرَني حسان بن عطية أن أول من أحدثها في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل المخزومي فأخذ الناس بذلك، وبإسناده عن سعيد بن عبدالعزيز وإبراهيم بن سليمان أنهما كانا يدرسان القرآن بعد صلاة الصبح ببيروت والأوزاعي في المسجد لايغيِّر ولاينكر عليهم . وذكر حرب أنه رأى أهل دمشق وحمص وأهل مكة وأهل البصرة يجتمعون على القرآن بعد صلاة الصبح، ولكن أهل الشام يقرءون القرآن كلُّهم جملة واحدة من سورة واحدة بأصوات عالية، وأهل البصرة وأهل مكة يجتمعون فيقرأ أحدهم عشر آيات والناس ينصتون، ثم يقرأ آخرُ عشر آيات حتى يفرغوا، قال حرب : كلُّ ذلك حسن جميل . اهـ كلام ابن رجب رحمه الله تعالى .

فضيلة استظهار القرآن الكريم

إن من أعظم المنن الإلٓهية التي خصّ الله تعالى بها هذه الأمة على رسولنا أفضل الصلاة والسلام وأطيب التحية – ولم يُعطَها أحد من الأمم القَبْليَّة : أنه سبحانه جعل قلوب هذه الأمة أوعيةً لكلامه ، وجعل صدورها مصاحف لحفظ آياته ، لايغسله من قلوبهم تيار الماء ، ولايمحوه من صدورهم كيد الأعداء .

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بيناتٌ في صدورِ الذين أُوتوا العلمَ ، وما يَجْحَدُ بآياتِنا إلّا الظالمون ﴾ . أما الدليل على أنه لايغسله الماء ففي صحيح مسلم عن عياض رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن ربي أمرني أُعلِّمُكم ماجهلتم مما علَّمني يومي هذا : كلُّ مال

نَحَلتُه - أي أعطيتُه - عبداً : حلالٌ[١] ، وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلهم - أي على الملة الحنيفية - وإنهم أتتْهم الشياطين فاجْتالتْهم عن دينهم ، وحرمتْ عليهم ماأحللتُ لهم ، وأمَرَتْهم أن يُشركوا بي مالم أنزلْ به سلطاناً ، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمَقَتَهم عربَهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب[٢] ، وقال - الله تعالى - : « إنما بعثتك لأبتليَك وأبتليَ بك ، وأنزلتُ عليك كتاباً لايغسله الماء[٣] تقرأُه نائماً ويقظانَ » الحديث .

وأما الدليل على شرف هذه الأمة بجَعْل صدورها مصاحفَ لآياتِ القرآن الكريم :

فقد روى أبونعيم في الدلائل بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لما فرغتُ مما أمرني الله به من أمر السمٰوات والأرض قلتُ - أيْ ليلة المعراج - ياربِّ إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا وقد كرّمتَه : جعلتَ إبراهيم خليلًا ، وموسى كليماً ، وسخَّرتَ لداود

---

(١) يعني أن من رزقه الله تعالى مالًا من طريق شرعي فهو حلال له . وفي هذا ردٌّ وإبطال لما اعتاده أهل الجاهليه من تحريم بعض أموالهم على أنفسهم وجعلها لآلهتهم ، كالسائبة والوصيلة .

(٢) يعني أنه لم يخرج عن المقت الإلٓهي إلا الذين تمسكوا بكتاب الله تعالى ، وهم قليل بالنسبة لغيرهم .

(٣) يعني أن القرآن هو محفوظ في الصدور التي لايمحو الماء مافيها ، وهذا أقوى من حفظ السطور التي حوت بقية الكتب ، فإن الماء يمحوها .

الجبال ، ولسليمان الريحَ والشياطين، وأحييتَ لعيسى الموتى، فماجعلتَ لي ؟ قال : أولَيس أعطيتُك أفضلَ من ذلك كلِّه : إني لاأُذكَر إلا ذُكرتَ معي ، وجعلتُ صدور أمتك أناجيل - أى مصاحف - يقرؤن القرآن ظاهراً، ولم أُعطها أمةً - أي من قبلك - وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي : لاحول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم » ورواه غير أبى نعيم ، كما في تفسير ابن كثير وغيره .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صفتي : أحمد المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، يجزي بالحسنةِ الحسنةَ، ولا يكافئ بالسيئة، مولده بمكة، ومهاجَره طيبة، وأمته الحمَّادون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يصفُّون للصلاة كما يصفُّون للقتال، قربانهم الذي يتقرَّبون به إليَّ دماؤهم، رهبانٌ بالليل ليوثٌ بالنهار »[1] .

وأما تشريف هذه الأمة بجعل قلوبها أوعيةً للقرآن الكريم : فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذِّب قلباً وَعَى القرآن »[2]

وروى الامام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لو كان القرآن في إهابٍ ماأكلته النار » . قال أبو عبيد : أراد

---

(١) انظر الفتح الكبير ٢ : ١٨٨ .ورواه البغوى في شرح السنة .

(٢) عزاه في الجامع الصغير إلى تمام في فوائده رامزاً لحسنه .

بالإهاب قلبَ المؤمن وجوفَه الذي قد وعى القرآن . اهـ .

حفظ القرآن أعظم نعم الله تعالى على العباد

روى البيهقي والبخاري في تاريخه عن رجاء الغَنَوي مرسلًا عن النبي ﷺ أنه قال : «مَن أعطاه الله تعالى حِفْظَ كتابه فظنَّ أن أحداً أُعطى أفضَل مما أعطي فقد غلط » وفي رواية : « فقد صَغَّر أعظم النعم » وفي رواية : « فقد غَمَط أعظم النعم »[1] .

أشراف الأمة حملة القرآن الكريم

روى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « أشراف أمتي حَمَلة القرآن وأصحاب الليل » أي المواظبون على قيام الليل .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : حَمَلة القرآن هم حفاظه الحاملون له في صدورهم ، العالمون تلاوتَه العاملون بمقتضاه ، وأصحاب الليل هم الذين يُحيونه بأنواع العبادة . قال : وقال العلامة الطِّيبي : إضافة الأصحاب إلى الليل لكثرة مباشرة القيام والصلاة فيه ، كما يقال : ابن السبيل لمن يواظب على السلوك فيه . اهـ .

أغنى الناس حملة القرآن الكريم

روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «أغنَى الناس حَمَلة القرآن » .

---

(١) انظر شرح الزرقاني على المواهب والفتح الكبير وغيرهما .

وقاية حامل القرآن الكريم

روى الديلمي في مسند الفردوس عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « حامل القرآن مُوقىً » .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : مُوقى : مبنى للمفعول ، أي محفوظ من النار ومن الأذى .

كرامة حامل القرآن الكريم

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أكرِموا حَمَلة القرآن ، فمن أكرمهم فقد أكرمني ، ومن أكرمني فقد أكرم الله تعالى ، أَلَا فلا تَنقُصوا حملة القرآن حقوقهم فإنهم من الله بمكانة »[1] .

حامل القرآن الكريم حامل راية الإسلام

عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « حامل القرآن راية الإسلام ، من كرمه فقد أكرم الله تعالى ، ومن أهانه فعليه لعنة الله[2] » .

حامل القرآن الكريم ممتَّع بعقله

روى ابن عدي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « من جَمَع القرآن متَّعه الله تعالى بعقله حتى يموت » .

حملة القرآن الكريم أولياء الله تعالى

روى ابن النجار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً :

---

(١) عزاه في الجامع الصغير للديلمي . قال المناوي : وكذا رواه الدارقطني . اهـ .

(٢) عزاه في الجامع الصغير إلى الفردوس رامزاً لضعفه .

« حملة القرآن أولياء الله ، فمن عاداهم عادى الله ومن والاهم فقد والى الله تعالى » .

حملة القرآن الكريم في ظل الله تعالى

جاء في مسند الفردوس عن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي ﷺ قال : « إن حَمَلة القرآن في ظل الله تعالى يوم لاظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » الحديث .

شفاعة حامل القرآن الكريم

روى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ القرآن فاستظهره – أي حفظه – فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله تعالى الجنة وشفَّعه في عَشَرة من أهل بيته كلُّهم قد وجبت له النار[1] ».

لايعذب الله تعالى قلبا وعى القرآن

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : أخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : اقرءوا القرآنَ ولا تغرنَّكم هذه المصاحف المعلَّقة[2] ، فإن الله تعالى لايعذب قلباً وعى القرآن .

---

(١) فحافظ كتاب الله تعالى العامل بمقتضاه مضمون له أن يدخل الجنة ، وأن يشفع في عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار .

(٢) يعني لاينبغي للمسلم أن يترك تلاوة القرآن ويتكاسل عن ذلك ويكتفي بتعليق في بيته ، فإن المصاحف ينبغي أن تكون منشورة للقراءة فيها لامطوية مهجورة.

حملة القرآن عرفاء أهل الجنة

روى الطبراني عن الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعاً : « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة[١] » .

تنبيه : قال في شرح المُنْيَة : إن حفظ ماتجوز به الصلاة فرض عين على كل مكلَّف ، وحفظ فاتحة الكتاب وسورة واجب ، وحفظ سائر القرآن فرض كفاية وسنة عينٍ أفضل من صلاة النفل . اهـ .

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن يفرض لحفاظ القرآن في البصرة مايَفِي بحاجتهم .

- حامل كتاب الله تعالى يُكرَم شرعاً

قال الإمام البخاري في صحيحه : باب القراءة عن ظهر قلب . ثم أسند عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت رسولَ الله ﷺ فقالت : يارسول الله جئتُ لأهَبَ لكَ نفسي ، فلما رأتِ المرأة أنه لم يَقْضِ فيها شيئا جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال : يارسول الله إنْ لم يكن لكَ بها حاجة فزوِّجْنيها ، فقال له ﷺ : « هل عندك من شيء ؟ » فقال : لا والله يارسول الله . قال : « اذهب إلى أهلك فانظرْ هل تجدُ شيئاً » فذهب ثم رجع فقال : لا والله يارسول الله ماوجدتُّ شيئا . قال : « انظر ولو خاتَماً من حديد » فذهب ثم رجع فقال : لا والله يارسول الله ولا خَاتَماً من حديد ! ولكن هذا إزاري !

---

(١) كذا في الجامع الصغير وغيره .

فقال رسول الله ﷺ : « ماتصنع بإزارك ؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبستَه لم يكن عليك شيء » فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام ، فرآه رسول الله ﷺ مولّياً - أي ذاهبا - فأمر به فدُعيَ ، فلما جاء قال له ﷺ : « ماذا معك من القرآن ؟ » قال : معي سورة كذا وسورة كذا - عدَّها - فقال ﷺ : « أتقرؤهنَّ عن ظهر قلبك ؟ » فقال : نعم . قال : « اذهب فقد ملَّكْتُكَها بما معك من القرآن » .

حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المكتسبون نور الله تعالى

جاء في « المرقاة شرح المشكاة » عن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال : إن القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى فمن وقَّر القرآن فقد وقَّر الله تعالى ، ومن لم يوقِّر القرآن فقد استخفَّ بحقِّ الله تعالى ، والقرآنُ شافع مشفَّع وماحِلٌ مصدَّق ، مَنْ شفَعَ له القرآن شُفِّع ، ومن مَحَل به القرآن صُدِّق ، ومن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وحَمَلة القرآن هم المحفوفون برحمة الله تعالى ، المكتسبون نور الله تعالى ، المتعلِّمون كلام الله تعالى مَن عاداهم فقد عادى الله تعالى ، ومن والاهم فقد والى الله تعالى ، ياحملةَ كتاب الله استجيبوا لله تعالى بتوقير كتابه يَزِدْكم حباً ويحَبِّبْكم إلى خلقه ، يُدفع عن مستمع القرآن سوءُ الدنيا ، ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة ، ومستمِعُ آيةٍ من كتاب الله تعالى - خير له من صِيْرٍ - اسم جبل - ذهباً ، وتالي آيةٍ من كتاب الله تعالى خير له

مما تحت أديم السماء ، وإن من القرآن لسورةً عظيمةً عندالله تعالى يُدعى صاحبها « الشريف » عند الله ، يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر ، وهي سورة يّسن » . اهـ[1] .

لحامل القرآن دعوة مستجابة

روى الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لِحاملِ القرآنِ دعوةٌ مستجابة » .

آداب حامل القرآن الكريم

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ القرآن فقد استَدرجَ النبوةَ بين جنبيه غير أنه لايُوحَى إليه ، لاينبغى لصاحب القرآن أن يَجِد مع مَن وَجَدَ[2] ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلامُ الله تعالى » رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وقد خاطب النبي ﷺ حَمَلة القرآن وأرشدهم إلى المطالب والآداب التي ينبغي أن يتحققوا بها .

فقد روى البيهقي في الشُّعَب أن النبي ﷺ قال : « ياأهل القرآن لاتتوسَّدوا القرآن واتلوه حقَّ تلاوته في آناء الليل والنهار ، وأفْشُوْه

---

(١) انظر المرقاة : ٢ : ٥٩٧ .

(٢) أي لاينبغى لحامل القرآن الكريم أن يغضب فيسبَّ ويشتم ، ولايجهل جهالة عمل بفسق أو معصية ، بل يجب عليه أن يتجمل ويتكمل لأن في جوفه كلام الله تعالى .

وتَغَنَّوْه وتدبروا مافيه لعلكم تفلحون ، ولاتَعَجَّلوا ثوابه فإن له ثواباً » .

والمعنى : فابتغوا وجه الله تعالى وثوابه الباقي ولاتتعجلوا ثواب الدنيا وحطامها الفاني . ومعنى « لاتتوسَّدوا القرآن » : لاتجعلوه كالوسادة تنامون عليه وتغفلون عن حقوقه بل قوموا بواجب القرآن وطبقوا العمل به ، ومن ذلك القيامُ به ليلًا ، فإن للقرآن حقاً في الليل وحقاً في النهار . اللهم اجعلنا ممن تلاه حق تلاوته ، وأَدَّى حقوقه وواجباته وتدبر في آياته وكلماته .

آداب القراءة ومطالبها

اعلم – علمنا الله تعالى وإياك – أن الحكم على قول أو فعل بأنه عبادة لله تعالى أو قربة إلى الله تعالى أو حسنة يبتغى ثوابها عند الله تعالى – كل ذلك يحتاج إلى دليل من الشرع يثبت هذا الحكم ، وإلّا فهو مردود على قائله ، لأن وصف القول والفعل بأنه عبادة أو قربة إلى الله تعالى أو حسنة – أمر توقيفي ، أي موقوف على الورود في الشرع مع الإذن بذلك .

إذا علمتَ ذلك فاعلم أن تلاوة القرآن الكريم هي عبادة من أعظم العبادات ، وقربة تزلف إلى الله تعالى من أقرب القربات ، وحسنة من أجمع الحسنات .

دليل ذلك : أما أنها عبادة فقد ذكرها الله تعالى في سياق العبادات أمرًاوخبراً : قال تعالى : ﴿ اُتْلُ ما أُوحيَ إليك من الكتاب وأَقِمِ الصلاةَ ﴾ الآية .

وقال تعالى في ثنائه سبحانه على عباده العابدين ﴿ إن الذين يَتلونَ كتابَ اللهِ وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا مما رزقناهمْ سراً وعلانيةً يَرجون تجارةً لن تَبورَ ﴾ .

ولذلك جاء في الحديث كما تقدم عنه ﷺ : « أفضلُ عبادة أُمتي تلاوة القرآن » .

وأما أن تلاوة القرآن الكريم قربة إلى الله تعالى :

فقد روى الترمذي وأحمد في المسند عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما أَذِنَ الله تعالى لعبدٍ في شيء أفضلَ من ركعتين أو أكثر من ركعتين وإن البِرَّ لَيُذَرُّ فوق رأس العبد مادام في صلاته ، وما تَقَرَّبَ العبدُ إلى الله عز وجل بمثلِ ماخرج منه »[1] . أي بدأ منه وهو القرآن الكريم ، فإنه منه بدأ . وهذا لفظ الترمذي وقال فيه : حسن غريب .

وأما أن تلاوة القرآن من أجمع الحسنات فقد تقدم في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » . الحديث .

فلما كانت تلاوة القرآن الكريم عبادةً وقربة وحسنة جامعة فلا بدَّ لها من آداب ومطالبَ تُطلب من القارىء حتى تَتم له عبادته وتَصح له قربته وتَثبتَ له حسنته ، وهي كثيرة نذكر منها جملة مهمة شهيرة :

الأول الإخلاص :

فينبغي للقارىء أن يقصد بقراءته وجه الله تعالى ورضاه ، كما هو

---

(١) انظر جامع الأصول والفتح الكبير : ٣ : ٧٨ .

الشأن المطلوب في جميع العبادات . قال الله تعالى : ﴿ وما أُمِروا إلا لِيَعبدوا الله مُخلصينَ له الدينَ حُنفَاءَ ويُقيموا الصلاةَ ويُؤتوا الزكاةَ وذلك دِين القيِّمة ﴾ . أي الملة المستقيمة .

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال باالنبيات وإنما لكل امرىء مانوى » . الحديث . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إنما يُعطَى الرجل على قدر نيته .

الثاني الوضوء :

يستحب للقارىء أن يكون متوضئاً ، لأن القرآن هو أفضل الأذكار ، وقد كان النبي ﷺ يحب أن يَذكر الله تعالى على طهارة ، كما ثبت في الحديث ، ولكن لاتكره القراءة على غير وضوء ، فقد جاء في البخاري أن النبي ﷺ لما استيقظ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شَنٍّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ، ﷺ .

الثالث السواك :

يستحب للقارىء أن يستاك تعظيماً وتطهيراً وتطييباً للفم الذي هو طريق قراءة القرآن . روى البزار بسند جيد عن علي رضي الله تعالى عنه أنه أمر بالسواك وقال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي قام الملَك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضعَ فاه على فِيه ، فما يخرج من فِيه - أي من فم القارىء - شيء إلا

صار في جوفِ المَلَك ، فطهِّروا أفواهكم للقرآن »(١) .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً : إن أفواهكم طُرُق للقرآن فطيِّبوها بالسواك .

وروى البيهقي عن سمرة مرفوعا : « طيِّبوا أفواهكم بالسواك فإنها طرق القرآن(٢)» .

الرابع استقبال القبلة :

يستحب للقارىء أن يستقبل القبلة ، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « أشرفُ المجالس ما استُقبِل به القِبلة » رواه الطبراني .

وروى الطبراني وابن عدي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « أكرمُ المجالس ما استُقْبِل به القِبلة » .

وأن يجلس متخشعاً بسكينة ووقار ، فلو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو على غير ذلكَ من الأحوال جاز وله الأجر ، ولكن دون الأول . قال الله تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ الآية ، والقرآن هو أفضل الأذكار الإلٓهية . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ورأسُه في حِجْرِي .

---

(١) انظر ترغيب المنذري : ١ : ١٦٩ .

(٢) انظر الفتح الكبير : ٢ : ٢٢٧ .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير .

الخامس طهارة المكان ونظافته :

قال في « الإتقان » : تسنُّ القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد اهـ .

قال الإمام النووي : وأما القراءة في الطريق فالمختار أنها جائزة غير مكروهة إذا لم يَلْتَهِ صاحبُها ، فإن النهي عنها كرهت كما كره النبي ﷺ القراءة للناعس مخافة الغلط . وروى أبوداود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الطريق .

ولا يقرأ القرآنَ ناعسٌ مخافةَ الغلط . روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآنُ على لسانه فلم يدرِ مايقول فليضطجع » .

السادس الطهارة من الحدث الأكبر :

الطهارة من الجنابة والحيض والنفاس فرض لقراءة القرآن بقصد القرآن، فيحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة القرآن[1] مقصوداً، ويجوز لهم إجراء القرآن على قلوبهم من غير تلفظ به ، ويجوز لهم النظر

(١) ولو دون آية من المركبات لا المفردات ، لأنه يجوز للحائض المعلمة تعليمُ القرآن كلمة كلمة ، كما في «رد المحتار» .

في المصحف من غير مسِّه .

روى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « لايقرأُ الجنبُ ولا الحائض شيئاً من القرآن » كما في الفتح الكبير .

قال الإمام النووي : وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض اهـ .

أما إذا لم يقصد القرآن بل قصد الذكر أو الدعاء فهو جائز ولايحرم عليهم . فالذكر : كأن يقول الجنب أو الحائض عند الركوب : سبحان الذي سخَّرلَنا هذا وما كنا له مُقْرِنين وإنا إلى ربنا لَمنقَلِبون . وكقوله عند المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أو يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ونحو ذلك دون أن يقصد القرآن . وأما الدعاء فكأن يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وَقِنَا عذابَ النار . وأمثال ذلك بقصد الدعاء .

وأما مسُّ المصحف فيحرم على المحِدث حدثاً أصغرَ أو أكبرَ إلا بشيء منفصل عنه وعن المصحف . والدليل على ذلك مارواه الإمام مالك في الموطأ أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم : أن لايَمَسَّ القرآنَ إلا طاهرٌ . الحديث . وكتاب عمرو تلقَّاه الناس بالقبول . وقال يعقوب بن سفيان : لا أعلم كتاباً أصحَّ من هذا الكتاب فإن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين يرجعون إليه ويَدَعون

رأيهم . وقال الحاكم : قد شهد عمر بن عبدالعزيز والزهري لهذا الكتاب بالصحة .

وروى الطبراني والدارقطني والحاكم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « لاتَمَسَّ القرآنَ إلا وأنت طاهر » كما في الجامع الصغير.

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « لايَمَسُّ القرآن إلا طاهر » كما في الفتح الكبير .

وروى الدار قطني في قصة إسلام عمر بن الخطاب أن أخته قالت له قبل أن يسلم : إنك رِجس ولايَمَسُّه إلا المطهرون . وثَمَّة عدَّة من الشواهد الحديثية ليس هذا موضع تفصيلها .

السابع التعوُّذ والبسملة :

يسنُّ للقارىء أن يتعوذ قبل القراءة عملًا بقوله تعالى : ﴿ فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ بالله منَ الشيطانِ الرجيم ﴾ وصيغة التعوُّذ عند الأكثرين هي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويسنُّ أيضاً التعوذ قبْل القراءة في أول ركعة من الصلاة فقط . كما أنه يسنُّ للقارىء الإتيان بالبسملة أول كل سورة سوى سورة براءة .

والدليل على مشروعية البسملة أول السورة : مارواه الإمام البخاري وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ ؟ فقالت : كان يقطع قراءته آيةً آيةً . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .

وإذا تثاءب أثناء القراءة فينبغي له أن يُمسك عن القراءة . قال مجاهد : إذا تثاءبتَ وأنتَ تقرأ القرآن فأمسكْ عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك . وفي البخاري أنه ﷺ قال : «إذا تثاءب أحدُكم فليضعْ يدَه على فِيه – أي فمه – فإن الشيطان يدخُل مع التثاؤب».

الثامن التدبر عند القراءة :

من أهم المطالب أن يكون القارىء في حال قراءته متدبِّراً متفهِّماً لما يقرأ ، لأن الله تعالى أنزل الكتاب للتدبُّر والتذكر . قال الله تعالى : ﴿ كتابٌ أنزلْناه إليكَ مباركٌ لِيدَّبَّروا آياتِه وَلِيَتذكَّر أُولوا الألباب ﴾ وقال تعالى في الإنكار والتوبيخ لمن لم يتدبر ﴿ أفلا يَتَدَبَّرونَ القرآنَ أمْ على قُلوبٍ أقفالُها ؟ ﴾ الآية . قال سيدنا علي رضي الله عنه : لاخير في قراءة لاتدبُّر فيها . وقال الحسن البصري : إن مَن كان قبلكم – يعنى الصحابة رضي الله تعالى عنهم – رأوا أن هذا القرآنَ رسائلُ إليهم من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفِّذونها في النهار .

قال الحافظ السيوطي : وصفة التدبر أن يشغل – القارىء – قلبه بالتفكُّر في معنى مايتلفظ به ، فيعرفَ معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويقصد قبول ذلك ، فإن كان قصَّر عنه فيما مضى من عمره اعتذرْ واستغفر ، وإنْ مرَّ بآيةِ رحمةٍ استبشر وسأل الله تعالى من فضله ، وإذا مر بآية عذابٍ أشفق وتعوذ ، أو تَنْزِيهٍ نزَّه وعظَّم ، أودعاءٍ تضرَّع وطلب .

أخرج مسلم عن حذيفة قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة

فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأهـا ، ثم آل عمـران فقرأهـا ، متـرسِّلًا ، وإذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح ، وإذا مرَّ بسؤال سأل ، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ.

وروى أبوداود والنسائي وغيرهما عن عوف بن مالك قال : قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ، لايمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ . اهـ .

وإذا قرأتَ القرآن فضع نفسك موضع المخاطَب ، فإذا مررتَ بآية الوعد والوعيد أو الأمر والنهي فانظر في نفسك مع من أنت تجدها ؟ مع المؤتمرين بها أم التاركين لها ؟ ومع المنتهين أم مع المخالفين ؟ وإذا مررتَ بالآيات التي فيها صفاتُ المؤمنين وأخلاقهم فاعرضْ نفسَك عليها ، هل أنت منهم ؟ فاحمد الله واسترِدْه ، أم لستَ منهم فاسعَ لذلك وتخلَّقْ واتَّصْفْ بصفاتهم ، وإذا مررتَ بصفات المنافقين فاحذرْ أن تكون منهم وأنت لاتشعر ، وإذا مررتَ بقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ فأَوْعِ سمعك وقلبك إلى مابعدها ، فإنْ كان أمراً فأتمر به أو نهياً فانتهِ عما نهى . وقد كان بعض السلف يقول عند ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ : لبيك ربي وسَعْدَيك .

وذلك كقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً وَقودُها الناسُ والحجارة ﴾ الآية . فانظر في أمر نفسك وأهلك : في صلاتهم وصيامهم ، وما يجب عليهم في طهارتهم وجنابتهم وحيض النساء ونفاسهن ، فتفقَّد أحوالهن في ذلك ، فإن كنَّ ممن يعلم أحكام ذلك ويؤديها كما يجب فزِدْ في تذكيرهن . وإن كنَّ مقصِّراتٍ في ذلك

فعليك بأمرهن ووعظهن وزجرهن ، لأنك الراعي عليهن ، المسئول عنهن ، قال تعالى : ﴿ وأْمُرْ أهلَك بالصلاةِ واصطَبِر عليها ﴾ الآية .

وقال ﷺ : « مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناءُ سبعٍ ، واضرِبوهم عليها وهم أبناء عشرٍ ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع » .

وقال علي كرم الله وجهه في معنى قوله تعالى ﴿ قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً ﴾ الآية قال : علِّموا أنفسَكم وأهليكم الخيرَ وأدِّبوهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا تُوبوا إلى الله توبةً نَصوحاً﴾ الآية .

فإذا قرأت هذه الآية وأمثالها فتذكر أفعالك السيئة وتُب إلى الله تعالى منها ، وهكذا تدور مع القرآن الكريم حيث دار ، ائتماراً عند الأمر ، وانتهاءً عند النهي ، وخوفاً عند الخوف ، ورجاءً عند الرجاء ، واستغفاراً عند آيات الاستغفار ، واتِّعاظاً عند آيات الوعظ ، واعتباراً عند آيات القصص ، واعتقاداً وإيماناً في آيات الإيمان ، والعقيدة ، وإثباتاً في الإثبات وتنزيهاً في التنزيه .

وصية الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه وعنا به

ولما عهد الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه بالخلافة إلى الفاروق الأنور عمر رضي الله عنه كان فيما أوصاه أنْ قال له : ياعمر إني قد استخلفتُك على أصحاب رسول الله ﷺ . ياعمر إن لله تعالى حقاً في الليل ولايقبله في النهار ، وحقاً في النهار ولايقبله في الليل ، وإنه لايقبل نافلةً حتى تُؤدَّى الفريضة ، ألم تَرَ ياعمر أنما ثقلتْ موازين مَن ثقلت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الحقَّ ، وثِقَلِه عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لايوضع

فيه غداً إلا حَقٌّ أن يكون ثقيلًا . ألم تر ياعمر أنما خفَّتْ موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الباطل ، وخِفَّتِه عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لايوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفاً .

ألم تر ياعمر أنما أنزلَتْ آية الرجاء مع آية الشدة ، وآية الشدة مع آية الرجاء، ليكون المؤمن راغباً راهباً ، لايرغب رغبة يتمنى على الله تعالى ماليس له ، ولايرهب رهبة يلقي فيها بيديه – أي بأن يقنط من رحمة الله تعالى – .

ألم تر ياعمر أنما ذَكر الله تعالى أهلَ النار بسوء أعمالهم ، فإذا ذكرتَهم قلتَ إني لأرجو أن لاأكون منهم ، وأنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز عما كان من سيء ، فإذا ذكرتَها قلتَ أين عملي من أعمالهم ؟ . فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائبٌ أحبَّ إليك من الموت ، ولست بمعجِزه – أي لابدَّ أن يدركك ، ثم توفي رضي الله عنه[١] .

كلمات موجـزة
حول قول الله تعالى ﴿ لقد أنْزلنا إليكُم كِتاباً فيه ذِكْرُكُم أفلا تعقلون ﴾
وماذا يجب على المؤمن أن يكون موقفه مع القرآن
وفيه قصة الأحنف بن قيس

ذكـر الحافـظ محمـد بن نصر المروزي في جزء «قيـــام الليـــل» عن

(١) روى ذلك ابن جرير عن مجاهد كما في الدر المنثور ٦ : ٤١ وقد روى ذلك ابن جرير من طرق متعددة.

الأحنف بن قيس أنه كان يوماً جالساً ، فَعَرَضتْ له هذه الآية ﴿ لقدْ أنزلْنا إليكُم كتاباً فيه ذِكركُم أفلا تَعقلون ﴾ فانتبه ، فقال : عليَّ بالمصحف لألتمسَ ذِكري اليوم ، حتى أعلم مَن أنا وَمن أُشبِه – يعني: لمّا علم أن القرآن قد ذكر جميع صفاتِ البَشَر وبيَّن صفاتِهم ومراتبَهم أراد أن يبحث عن نفسه في أي الطبقات هو ؟ – .

فنشر المصحف ، فمرَّ بقوم ﴿ كانوا قليلًا من الليل مايَهْجَعون . وبالأسحار هم يَستغفرون . وفي أموالِهم حقٌّ للسائلِ والمحروم ﴾ ، ومرَ بقوم ﴿ تَتَجافَى جنوبُهم عن المضاجعِ يَدْعون ربَّهم خوفاً وطمعاً ومما رَزَقْناهم يُنفقون ﴾

ومر بقوم ﴿ يَبيتونَ لربِّهم سُجَّداً وقياماً ﴾ ، ومرَّ بقوم ﴿ يُنفِقون في السَّرَّاء والضَّرَّاء والكاظمينَ الغيظَ والعافِينَ عن الناس والله يحبُّ المحسنين ﴾ ومرَّ بقوم ﴿ يُؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ ، ومَن يُوْقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هُمُ المفلحون ﴾ ومرَّ بقوم ﴿ يَجْتَنِبون كبائرَ الإثمِ والفواحشَ وإذا ماغَضِبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربِّهم وأقاموا الصلاةَ وأَمْرُهمْ شُورى بينَهم ومما رزقناهم يُنفقون ﴾ .

فوقف الأحنف ثم قال : اللهم لستُ أعرف نفسي هاهنا – يعني : لم يجد هذه الصفات في نفسه حتى يعدَّ نفسه من هذه الطبقة – ثم أخذ الأحنف السبيل الآخر فمرَّ في المصحف بقوم ﴿ إذا قيل لهم لا إله إلا الله يَستكبرون . ويقولون أَئِنا لَتارِكوا آلهتِنا لشاعر مجنون ﴾ ومرَّ بقوم قال الله تعالى فيهم ﴿ وإذا ذُكِر الله وحدَه اشْمَأَزَّتْ قلوبُ الذين

لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذُكِر الذين مِن دونه إذا هم يَسْتَبشرون ﴾ ومرَّ بقوم يقال لهم ﴿ ماسَلَكَكُمْ فى سَقَر ؟ قالوا : لم نَكُ من المصلِّين . ولم نَكُ نُطْعِمُ المسكين . وكنا نخوضُ مع الخائضين . وكنا نكذِّب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين ﴾ .

فوقف الأحنف ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك من هؤلاء ! فما زال الأحنف يقلِّب ورق المصحف ويلتمس فى أي الطبقات حتى وقع على هذه الآية ﴿ وآخَرونَ اعْتَرَفوا بذنوبِهم خَلَطوا عملًا صالحاً وآخَرَ سيِّئاً عسى الله أنْ يتوبَ عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ . فقال الأحنف : أنا من هؤلاء .

فانظر أيها المسلم موضع نَفسِك من كتاب الله تعالى ، وفى أي الطبقات أنت ، واحذر أن تكون ممن تنطبق عليهم صفات المنافقين أو الفاسقين ، عياذاً بالله العظيم . قال تعالى ﴿ إن فى ذلك لذِكْرىٰ لمَن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شَهيد ﴾.

يامن يُصِيخ إلى داعي الشقاء وقد … نادى به الناعيانِ الشيبُ والكِبَرُ
إذا كنتَ لاتسمعُ الذِّكرى ففيمَ تُرى … في رأسك الواعيان السمعُ والبصرُ
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجلٍ … لم يَهدِهِ الهاديانِ العينُ والأثرَ
لاالدهرُ يَبقى ولاالدنيا ولا الفَلَكُ الأ … على ولا النَّيِّرانِ الشمسُ والقمرُ
لَيَرْحلَنَّ عن الدنيا وإن كَرِها … فراقها الثاويان البدو والحضرُ

مقامات قرّاء القرآن الكريم

نقل فى البرهان عن بعض العارفين رضي الله تعالى عنهم أنه قال : الناس فى تلاوة القرآن الكريم على ثلاثة مقامات :

المقام الأول :

من يَشهد أوصاف المتكلّم فى كلامه ومعرفة معاني خطابه ، فينظر إليه من كلامه وتكلُّمه في خطابه ، وتملّيه بمناجاته وتعرُّفه من صفاته ، فإن كل كلمة تنبىء عن معنى اسم أو وصف أو حكم أو إرادة أو فعل - أي من أسماء الله تعالى وأوصافه وأحكامه وإرادته وأفعاله - لأن الكلام ينبىء عن معاني الأوصاف ، ويدل على الموصوف ، وهذا مقام العارفين من المؤمنين ، لأنه لاينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، بل هو مقصور الفهم عن المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، مستغرِق بمشاهدة المتكلم .

قال السيد الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه : لقد تجلَّى الله تعالى لخلقه بكلامه ، ولكن لايبصرون .

الثاني :

من يشهد بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بألطافه ، ويتملّقه بإنعامه وإحسانه ، فمقامُ هذا الحياءُ والتعظيم - لمقام الله عز وجل - وحاله الإصغاءُ والفهمُ عن الله تعالى ، وهذا لعموم المقرَّبين .

الثالث :

من يَرى أنه يناجي ربَّه سبحانه ، فمقام هذا القارىء السؤالُ والتملُّق - بمولاه - وحاله الطلب ، وهذا المقام لخصوص أصحاب اليمين .

وقال بعض العارفين : في القرآن ميادين وبساتين ، ومقاصير وعرائس ، وديابيج ورياض ، فالميمات - أي السور المفتتحة ب : آلــم - ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصير القرآن والمسبِّحات عرائس القرآن ، والحواميم ديابيج القرآن ، والمفصَّل رياضه ، فإذا دخل المريد في الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديابيج ، وتنزَّه في الرياض ، وسكن غرفات المقامات : اقتطعه عما سواه ، وأوقفه مايراه ، وشغله المُشاهَدُ له عما عداه .

وروى البيهقي بإسناده عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أعرِبوا القرآن والتمسوا غرائبَه ، وغرائبُه فرائضه وحدوده » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأولين والآخِرين فَلْيُثَوِّرْ - أي فليبحث - القرآنْ ، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين .

وقال أبوالدرداء : لايفقهُ الرجلُ حتى يجعل للقرآن وجوهاً . أي : حتى يفهم معاني القرآن من عدة أوجه .

استحباب السلف الصالح ترديد الآية للتدبُّر

كان كثير من السلف الصالح من يردِّد الآية الواحدة عدةَ مرات ليتدبَّر فيها ، وكلما أعادها انكشفت له وجوه من معانيها ، وتجلَّت له ألوانٌ من أنوارها ، فهم يتعلقون بها رجاءً ، أو يَخْشَون منها خوفاً ، أو يستَرْحِمون بها ويستشفعون .

روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قام رسول الله ﷺ ذاتَ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح ، قلت : يارسول الله مازلتَ تقرأ هذه

الآية حتى أصبحتَ تركعُ وتسجدُ بها ؟ فقال ﷺ « إني سألت ربي عزوجل الشفاعةَ لأمتي فأعطانيها ، وهي - إن شاء الله - لمن لايُشرك بالله شيئا ».

وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه أنه كرر هذه الآية ﴿ أم حَسِبَ الذين اجتَرَحوا السيئات أن نجعَلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ؟﴾ الاية ، حتى أصبح .

وعن عبادة بن حمزة قال : دخلت على أسماء رضي الله تعالى عنها وهي تقرأ ﴿ فَمَنَّ اللهُ علينا ووقانا عذابَ السَّموم ﴾ الآية قال : فوقفتْ عندها فجعلتْ تُعيدها وتدعو . قال الإمام النووي : رويت هذه القصة عن عائشة رضي الله عنها أيضاً .

وروى ابن المبارك في كتاب الزهد عن أبي ريحانة رضي الله عنه أنه قَفَل من غزوة له فتعشَّى ثم توضأ وقام إلى مسجده فقرأ سورةً ، فلم يزل حتى أُذِّن للصبح ، فقالت امرأته : غزوتَ فغِبْتَ ، ثم قدمتَ أفما كان لنا فيك نصيب ؟ قال : بلى والله ، ولو ذكرتُكِ لكان لكِ عليَّ حقٌّ ، قالت : فما الذي شغلكَ ؟ قال : التفكُّر فيما وصف الله تعالى في جنته ولذَّاتها ، حتى سمعت المؤذن [١] .

وقال الشيخ إبراهيم الخَوَّاص رضي الله تعالى عنه : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخَلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السَّحَر ، ومجالسة الصالحين .

وردّد ابن مسعود قوله تعالى : ﴿ ربِّ زِدْني علماً ﴾ . وكان الضحاك

---

(١) شرح الزرقاني ٣ : ٣٣٠ .

إذا تلا قوله تعالى ﴿ لهمْ مِن فوقهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظُلَل ﴾ الآية كان يرددها إلى السَّحَر .

التاسع الخشية والبكاء لقراءة القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكونَ وَيَزِيدُهم خُشُوعاً ﴾ الآية . وقال الله تعالى : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً ، مثانيَ تَقْشَعِرُّ منه جلودُ الذين يَخشون ربَّهم ثم تَلِينُ جُلُودُهم وقلوبُهم إلى ذِكْرِ الله ﴾ . فقد أثنى الله تعالى على البكّائين عند قراءة القرآن .

وقال الله تعالى : ﴿ لو أنزَلْنَا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدِّعاً مِن خَشْيَةِ الله ﴾ الآية . فبيَّن سبحانه أن هذا القرآن لو أُنْزِل على الجبال الصُّمِّ القاسية لخشعتْ وتصدَّعت من خشية الله ، فكيف إذا أُنْزِل على القلوب ؟ ! فهي أحقُّ بالخشية وأجدرُ ، ومن القبيح أن يكون القلب أشدَّ قسوةً من الجبل .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه ، لما قرأ على رسول الله ﷺ قال ابن مسعود : فالتفتُّ فإذا عينا رسولِ الله تذرِفان . ﷺ .

ورُوي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن هذا القرآنَ نزل بحَزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا فإنْ لم تَبكُوا فتباكَوْا ، وتَغَنَّوْا به ، فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا » رواه ابن ماجه[1] .

---

(١) كما في الترغيب والترهيب للمنذري ، وقال فيه ابن علان في شرح الأذكار : حديث غريب أخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر وأبوعوانة وابن أبي داود . اهـ .

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما دخل رسول الله ﷺ بيتي - أي في مرض الوفاة - قال : « مُرُوا أبابكرٍ فليصلِّ بالناس » قالت عائشة : فقلت : يارسول الله إن أبابكرٍ رجل رقيق إذا قرأ القرآن لايملك دمعَه فلو أمرتَ غير أبي بكر . الحديث .

وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمرُّ بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يَسقط ، ويبقى في البيت حتى يُعاد للمرض .

وعن أبي رجاء قال : رأيت ابن عباس رضي الله عنهما وتحت عينيه مثلُ الشِّراك البالي من الدموع .

وعن أبي صالح قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون ، فقال أبوبكر رضي الله تعالى عنه : هكذا كنَّا . أي على عهد رسول الله ﷺ .

وعن هشام قال : ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة . أي داخل بيته يَسمع صوتَ بكائه الجيران .

وروى محمد بن نصر والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : « أحسنُ الناسِ قراءةً الذي إذا قرأ رأيتَ أنه يخشى الله » وفي رواية الطبراني « أحسنُ الناس قراءةً من قرأ القرآن يَتَحزَّن به » .

وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت ﴿ أفمِنْ هذا الحديثِ تَعجبونَ وتَضْحكون ولاتبكون ... ﴾ الآيات : بكى أصحاب الصُّفَّة حتى جَرَتْ دموعهم على خدودهم . رواه البيهقي .

وقال أُسَيد بن حُضَير رضي الله تعالى عنه : لوأني أكون على أحوال ثلاثة من أحوالي لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن ، وحين أسمعه ، وإذا سمعتُ خُطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العاشر الترتيل :

يسنُّ الترتيل في قراءة القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ القرآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .

وعن أم سلمة أنها نعتتْ قراءة النبي ﷺ فإذا هي تنعتُ قراءته مفسَّرةً حرفاً حرفاً .

وعن قتادة سألت أنسا رضي الله عنه عن قراءة النبي ﷺ فقال : كان ﷺ يمدُّ مدّاً ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدُّ ببسم الله ، ويمدُّ بالرحمن ، ويمدُّ بالرحيم . رواه البخاري .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلا قال له : إني أقرأ المفصَّل فى ركعة واحدة ! فقال : هَذّاً كَهَذِّ الشِّعر ! – وهو سرعة القراءة كما يُنشَد الشعر – إن قومًا يقرؤن القرآن لا يُجاوز تَرَاقِيَهمْ ، ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع ! .

قال فى شرح المهذَّب : واتفقوا على كراهة الإفراط فى الإسراع – وهو المسمى بالهَذْرَمة – . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لَأنْ أقرأَ سورةً أرتِّلها أحبُّ اليَّ من أن أقرأ القرآنَ كلَّه .

الحادي عشر استحباب الإجابةبما ورد عند بعض الايات والسور :

يستحب للقاريءِ أن يأتي بالوارد على الوجه الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : « من قرأ ﴿ والتين والزيتون ﴾ فقال ﴿ أليسَ الله بأحكَمِ الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ ﴿ لاأُقْسِمُ بيوم القيامة ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أليسَ ذلك بقادرٍ على أن يُحْيِيَ الموتى ﴾ فليقل : بلى . ومن قرأ ﴿ والمرسلات ﴾ فبلغ ﴿ فبأيِّ حديثٍ بعده يؤمنون ﴾ فليقل : آمنا بالله تعالى » . رواه أبو داود والترمذي .

وروى الامام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ الآية يوم عرفة ثم قال بعد قراءتها : « وأنا على ذلك من الشاهدين ياربِّ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿ سبِّحِ اسمَ ربك الأعلى ﴾ قال : « سبحان ربيَّ الأعلى » . رواه أبو داود و أحمد

وعن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على الصحابة فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال : « لقد قرأتُها على الجنّ فكانوا أحسنَ مردودًا منكم ، كنتُ **كلما** أتيتُ على قوله ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربكما تُكذِّبانِ ﴾ قالوا : لا بشيء من نِعمك ربَّنا نكذب ، فلك الحمد » . رواه الترمذي والحاكم .

وعن وائل بن حُجْر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿ ولا الضَّالِّينَ ﴾ فقال : « آمين » يَمُدُّ بها صوتَه . رواه أبو داود والطبراني بلفظ قال : « آمين » ثلاث مرّات . وأخرجه البيهقي بلفظ قال : « رب اغفر لي . آمين » .

وأخرج أبو عبيد عن أبي ميسرة أن جبريل لقَّن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة « آمين » .

وأخرج عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال :« آمين».

وأخرج ابن مردويه والديلمي وابن أبي الدنيا بسند ضعيف جدًا عن النبي ﷺ قرأ ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أُجيبُ ﴾ الآية فقال اللهم أَمرتَ بالدعاء وتَكَفَّلتَ بالإجابة ، لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك لاشريك لك . أشهد أنك فردٌ أحد صَمَدٌ لم تَلِد ولم تُولَد ولم يكن لك كُفُواً أحد . وأشهد أن وعدَك حق ، ولقاءكَ حق ، والجنة حق والنار حق ، والساعة آتية لاريب فيها ، وأنك تَبعث من في القبور » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُسمَع عند وجهه دَوِيٌّ كدويّ النحل . قال : فلبثنا ساعة – أي فنزل عليه الوحي يومًا – ثم استقبل القبلة ورفع يديه – أي بعد انقضاء الوحي – وقال « اللهم زِدنا ولا تَنقُصنا ، وأكرِمنا ولا تُهنَّا ، وأَعْطِنا ولا تَحرِمنا ، وآثِرنا ولا تُؤْثر علينا ، وأَرْضِنا وارضَ عنا » ثم قال ﷺ : «أُنزل عليَّ عشرُ آياتٍ مَن أقامهنَّ – أي حفظهن – دخل الجنة » ﴿قَدْ أفلحَ المؤمنون ، الذينَ هُمْ في صلاتِهِمْ خاشِعون ﴾ حتى ختم الآيات العشرة . رواه الترمذي وأحمد .

وروى ابن قانع عن ابن أبي ليلى أن النبي ﷺ كان إذا مرَّ بآية فيها ذِكر النار قال : « ويلٌ لأهل النار . أعوذ بالله من النار » .

قال في التبيان : ومن الآداب : إذا قرأ قول الله عز وجل ﴿ وقالتِ اليهودُ عُزَيرٌ ابنُ الله ﴾ . ﴿ وقالتِ النصارى المسيحُ ابنُ الله ﴾ . ﴿ وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مَغلولة ﴾ . ﴿ وقالوا اتَّخَذَ الرحمنُ ولداً ﴾ ونحوَ ذلك من الآيات : فينبغي أن يخفض بها صوتَه . كذا كان إبراهيم النخعي يفعل . رضي الله تعالى عنه .

ومنها : مارواه ابن أبي داود بإسناد ضعيف عن الشعبي أنه قيل له : إذا قرأ الإنسان ﴿ إن الله وملائكَته يُصلون على النبي ﴾ الآية يصلي على النبي ﷺ ؟ قال : نعم .

استحباب تحسين الصوت بالقرآن

قال النووي في التبيان : أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم مِن علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، وأقوالُهم وأفعالُهم مشهورة نهايةَ الشهرة اهـ والأحاديث الواردة في استحباب ذلك كثيرة نذكر جملة منها .

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون ، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً منه . رواه الشيخان .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ماأَذِنَ – أي استمع – الله لشيء كما أَذِنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ يتغنَّى بالقرآن . يجهر به » . رواه الشيخان .

وعن فَضالةَ بن عبيد أن النبي ﷺ قال : « لَلّهُ أشدُّ أَذَناً – أي

استماعاً - للرجل الحسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القَيْنةِ إلى قَيْنته » . وهي الأمَةُ التي تُغنِّي مولاها . رواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي .

وروى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً : «ماأَذِنَ اللهُ لشيء كأَذَنِه للذي يتغنَّى بالقرآن يجهر به » . كما في كنز العمال .

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم » . رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه .

ورُوي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مِن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حَسِبتموه يخشى الله » . رواه ابن ماجه .

وروى عبدالرزاق في جامعه والضياء عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لكل شيء حِلْية وحِلْية القرآنِ الصوتُ الحسن » كما في الفتح الكبير.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « أَحْسِنوا الأصواتَ في القرآن » . كما في الفتح الكبير .

وروى الخطيب عن معقِل بن يسار رضي الله عنه مرفوعاً : « إن الله تعالى لايأْذَن - أي لايستمع - لشيء من أهل الأرض إلا لأذانِ المؤذنين ، والصوتِ الحسن بالقرآن » .

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أُوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود » . متفق عليه .

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حَسِّنوا القرآنَ بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسناً » . رواه الدارمي .

وعن أبي لبابة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس منا مَن لم يتغنَّ بالقرآن » . رواه أبوداود . وقيل لابن أبي مليكة : أرأيتَ إن لم يكن حسنَ الصوت ؟ قال : يحسِّنُه ما استطاع .

قال في التبيان : قال العلماء رحمهم الله تعالى : فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها مالم يخرج عن حدّ القراءة بالتمطيط ، فإنْ أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام اهـ .

استحباب طلب القراءة الطيبة والاستماع إليها

قال الإمام النووي : اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون . وهذا متفق على استحبابه وهو عادة الأخيار المتعبِّدين وعباد الله الصالحين ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ . فقد صحّ عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال لي رسول الله ﷺ : « أقرأْ عليَّ القرآن » . فقلت : يارسول الله أَقرأُ عليك وعليك أُنزِل ؟ فقال : « إني أحب أن أسمع من غيري » فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فكيفَ إذا جِئْنا من كلِّ أمةٍ بشهيدٍ وجِئْنا بكَ على هؤلاءِ شهيداً﴾ قال ﷺ : « حَسْبك الآن » فالتفتُّ فإذا عيناه تَذْرفان .

وقد استمع النبي ﷺ إلى قراءة ابن مسعود عدة مرات وإلى أبي

موسى الأشعري وإلى سالم مولى أبي حذيفة وغيرهم .

ففي المسند وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ أتاه بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، وعبدالله بن مسعود يصلي فافتتح النساء ، فَسَحَلها - أي قرأها كلَّها متصلة - فقال النبي ﷺ : « من أحبَّ أن يقرأ القرآن غَضّاً كما أُنزل فليقرأه على قراءةِ ابنِ أمِّ عبد » . يعنى ابن مسعود ، ثم تقدم ابن مسعود فسأل - أي دعا الله تعالى - فجعل النبي ﷺ يقول : « سَلْ تُعْطَه سَلْ تُعْطَه » فقال فيما سأل : اللهم إني أسألك إيماناً لايرتدُّ ، ونعيماً لاينفدُ ومرافقَةَ نبيك محمد ﷺ في أعلى الجنة جنة الخلد . فأتى عمر عبدَالله بن مسعود ليبشِّره بقول النبي ﷺ : « سل تعطه » فوجد أبابكر قد سبقه فقال : أنَّى فعلتَ ! لقد كنتَ ياأبابكر سباقاً للخير . وفي رواية فقال عمر : مابادرني أبوبكر إلى شيء إلا سبقني إليه ، فسألاه عن قوله - أي عما دعا - فقال ابن مسعود : مِن دعائي الذي لا أكاد أدع : - أي لاأكاد أتركه - اللهم إني أسألك نعيماً لا يَبيد ، وقرةَ عينٍ لا تنفد ، ومرافقة النبي ﷺ في أعلى الجنةِ جنةِ الخلد .

وأنا عبدالله أقول : اللهم إني أسألك ماسألك عبدالله بن مسعود ، فأعطني كما أعطيته سؤله ، إنك سميع الدعاء .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : أبطأت على رسول الله ﷺ فقال : « ماحَبسكِ ياعائشة ؟ » قالت : يارسول الله إن في المسجد رجلا مارأيت أحداً أحسنَ قراءةً منه . قالت : فذهب النبي ﷺ فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال رسول الله ﷺ : « الحمد

لله الذي جعل في أمتي مثلَك » رواه ابن ماجه وأحمد وغيرهما .

وقال أنس : مابعث الله نبياً قط إلا حسنَ الوجه حسنَ الصوت ، وكان نبيُّكم ﷺ أحسنَهم وجهاً وأحسنَهم صوتاً . رواه الترمذي .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه في الليل ويستمع إلى قراءتهم . فقد روى الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إني لأعرف أصواتَ رفقةِ الأشعريين بالليل حين يدخل الليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن في الليل ، وإنْ كنتُ لم أَرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف السِّتر وقال : « ألا إن كلَّكم مناجٍ ربَّه فلا يُؤذينَّ بعضُكم بعضاً ، ولا يرفعْ بعضُكم على بعض في القراءة – أو قال – : في الصلاة » . رواه أبو داود والترمذي وغيرهما .

وعن أبي قتادة أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر رضي الله تعالى عنه يصلي يخفِض من صوته ، أي بالقراءة ، ومرَّ بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعاً – صوته بالقراءة – فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال صلى الله عليه وسلم : «يا أبا بكر مررتُ وأنتَ تصلي تخفض صوتك ؟» فقال أبوبكر : قد أسمعتُ من ناجيتُ يارسول الله . فقال ﷺ : « ارْفَعْ من صوتك شيئاً » كما في رواية – وقال لعمر : « مررتُ بك وأنت تصلي رافعاً صوتك ؟ » فقال عمر: يارسول الله أُوقظُ الوَسْنان وأَطْرُد الشيطان.فقال له صلى الله عليه وسلم : « اخفِضْ شيئاً » .

وفي رواية لأبي داود قال ﷺ : « وقد سمعتُك يابلالُ وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ؟ » فقال بلال : كلامٌ طيبٌ يجمع الله بعضه إلى بعض . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كلُّكم قد أصاب » . رواه أبوداود والترمذي .

تنوير المجالس بالقرآن الكريم

كان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا قارئاً يقرأ القرآن فيفتتحون مجالسهم بتلاوة القرآن الكريم ، مستنيرين بأنواره ، ومستفيضين من أسراره ، ومتبرِّكين ببركاته . قال تعالى : ﴿ وهذا كتابٌ أَنْزلناه مبارَكٌ فاتَّبعوه واتَّقوا لعلكم تُرحمون ﴾ .

روى الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرأوا سورة .

وروى الدارمي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري : ذَكِّرْنا ربَّنا ياأباموسى . فيقرأ عنده القرآن .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر في بعض الأحيان عقبة بن عامر أن يقرأ عليه وعلى أصحابه القرآن .

وفي هذا كله دليل على اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بتلاوة القرآن الكريم وتعظيمهم له وعلى حرصهم الشديد أن تفتتح مجالسهم واحتفالاتهم واجتماعاتهم بتلاوة آيٍ من الذكر الحكيم .

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلست في عصابة – أي جماعة – من ضعفاء المهاجرين ، وإن بعضهم ليستتر

ببعض من العُرْي ، وقارىء يقرأ علينا ، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا ، فلما قام رسول الله ﷺ - أي وقف مشرفاً علينا - سكت القارىء ، فسلم رسول الله ﷺ ثم قال : « ماكنتم تصنعون ؟ » قلنا : نستمع إلى كتاب الله تعالى ، فقال ﷺ : « الحمد لله الذي جعل مِن أمتي مَن أُمِرت أن أصبر نفسي معهم » فجلس وسطنا ليعدِل نفسه فينا ، ثم قال ﷺ بيده هكذا - أي أشار إليهم أن يلتفُّوا حوله - فتحلَّقوا ، وبرزتْ وجوههم له فقال : « أبشِروا ياصعاليكَ المهاجرين - أي يافقراء المهاجرين - بالنور التامِّ يومَ القيامة ، تدخلون الجنة قبل الناس بنصف يوم ، وذلك خمسُمائةِ سنة » .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وينبغي للقارىء في هذه المواطن - أي في المجالس - أن يقرأ مايليق بالمجلس ويناسبه ، وأن تكون قراءته من آيات الرجاء والخوف ، والمواعظ والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة ، والتأهيب لها وقصر الأمل ومكارم الأخلاق .اهـ.

فضل الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنِ استمعَ إلى آيةٍ من كتاب الله كُتبتْ له حسنةٌ مضاعفة ، ومَن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة».

وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : «الداعي والمؤمِّنُ شريكان في الأجر ، والقارىء والمستمع في الأجر شريكان ، والعالم والمتعلِّم في الأجر شريكان » .

وقد تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ عليه القرآن وقال له : « إني أحب أن أسمعه من غيري » .

وقد استمع النبي صلى الله عليه وسلم إلى قراءة ابن مسعود عدة مرات ، واستمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري وإلى سالم مولى أبي حذيفة وغيرهم ، كما تقدم ص (٩٣) .

آداب ومطالب الاستماع لتلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ وإذا قُرِىءَ القرآنُ فاستَمِعوا له وأَنْصِتوا لعلكم تُرحمون ﴾ . فقد أمر سبحانه الله تعالى بالاستماع للقارىء ، والأمر يقتضي الوجوب مالم يصرفْه عنه صارف .

قال في رد المحتار : لأن الآية - يعني قوله تعالى : ﴿ فاستمعوا له ﴾ - وإنْ كانت واردةً في الصلاة ، فالعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ،ثم هذا حيث لاعذر ، ولذا قال في القُنية : صبيّ يَقرأ في البيت وأهلُه مشغولون بالعمل : يُعذرون في ترك الاستماع إنِ افتتحوا العملَ قبل القراءة ، وإلّا - أي وإن افتتحوا العمل بعد القراءة - لايعذرون في ترك الاستماع ، وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن .

وفي الفتح عِن الخلاصة : رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن فلا يُمكنه استماع القرآن : فالإثم على القارىء ، وعلى هذا : لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم . اهـ أي : لأنه يكون سبباً لإعراضهم عن استماعه ، أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم . تأمل ! وفي شرح المنية : والأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية لأنه لإقامة حقه ، بأن يكون ملتفَتاً إليه غيرَ مضيَّع ، وذلك يحصل بإنصات البعض ، كما في ردّ السلام ، حينَ كان

لرعاية حقِّ المسلم : كفى فيه البعض عن الكل ، إلا أنه يجب على القارىء احترامه بأن لا يقرأ في الأسواق ومواضع الاشتغال ، فإذا قرأه فيها كان هو المضيِّعَ لحرمته ، فيكون الإثمُ عليه دون أهل الاشتغال ، دفعاً للحرج .

ثم قال في رد المحتار : ونقل الحَمَوي عن أستاذ قاضي القضاة يحيى الشهير بمنقاري زاده أن له رسالةً حقَّق فيها أن استماع القرآن فرض عين . اهـ رد المحتار .

ومن هنا تبين حكم استماع القرآن الكريم عند السادة الحنفية ، وأما عند السادة الشافعية فالاستماع للقراءة سنة .

ومن مطالب الاستماع للقارىء : الإنصات ، والخشوع والبكاء . قال الله تعالى : ﴿ وإذا سَمِعُوا ماأُنزِل إلى الرسولِ تَرى أعينَهم تَفيضُ من الدمعِ مما عَرَفوا من الحقِّ يقولون ربنا آمنَّا فاكتبْنا مع الشاهدين ﴾ .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يحب الصمت – أي السكوت – عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة » رواه الطبراني وأبويعلى . قال الحافظ الهيثمي : فيه رجل لم يسمَّ . اهـ .

والمراد بقوله ﷺ : « عند الزحف » عند التقاء الصفوف للقتال جهاداً في سبيل الله تعالى ، فإن الصمتَ أهيبُ وأرهبُ .

وعند الجنازة : المراد به عند المشي معها والغَسل والصلاة عليها ، وليكثر من قول لا إله إلا الله سرّاً ، كما جاء في الحديث .

وروى عبد الرزاق في جامعه عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً عن

النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى كره لكم ثلاثاً : اللغوَ عند القرآن، ورفعَ الصوت في الدعاء ، والتخصُّرَ في الصلاة » .

فينبغي للمسلم أن يستمعَ للقرآن وينصت لعلَّ الله تعالى يرحمه بذلك ، لأنه بالاستماع والإنصات يكون قد تعرَّضَ لرحمة الله تعالى ، ومن تعرض لرحمة الله تعالى ناله منها نصيبه ، ومن أعرض عن ذلك فقد حَرَم نفسه ، قال تعالى : ﴿ وإذا قُرِىءَ القرآنُ فاستَمِعوا له وأَنْصِتوا لعلكم تُرحمون ﴾ فاعتبرْ وتدبَّرْ هذه الآية الكريمة ، فإن القرآن إذا قُرِىء تنزلتْ السكينةُ والرحمة الإلٓهية وفُتحتْ أبواب السماء .

روى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « تُفتحُ أبواب السماء لخمس : لقراءةِ القرآن ، وللقاء الزَّحفين – أي الصَّفَّيْن صفِّ المسلمين وصفِّ الكافرين – ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم ، وللأذان » . كما في الفتح الكبير وأصله .

فضل تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه

روى البخاري عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه » . وفي رواية : « إن أفضلكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه » .

وروى ابن ماجه عن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «خياركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه » .

وفي هذه الأحاديث جواب لمن يسأل عن أفضل عِلم وأفضل متعلِّم وأفضل معلِّم . ويدل على ذلك رواية البيهقي : « إن أفضلكم مَن تعلَّم

القرآن وعلَّمه » .

وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تعلَّموا القرآن واقرؤوه وارقُدوا ، فإن مَثَل القرآن لمن تعلّمه فقرأه وقام به - أي في الليل - كمثل جِراب مَحْشُوٍّ مسكاً يفوح ريحه كل مكان ، ومَثَلُ من تعلّمه فيرقُد وهو في جوفه كمثل جِراب أُوكِيء على مسك » . أي ملىء مسكاً وربط عليه .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ياأباذر لَأن تَغْدوَ فتعلَّم - أي تتعلم - آيةً من كتاب الله تعالى خيرٌ لك من أن تصلّي مائة ركعة ولأن تغدوَ فتعلَّم باباً من العلم عُمِل به أو لم يُعمل به خير لك من أن تصلّى ألف ركعة »[1] .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تَعَلموا كتاب الله وتعاهَدوه وتغنَّوْا به ، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تَفَلُّتاً من المخاض في العُقُل » .

فلقد حثّ النبي ﷺ أمتَه على تعلُّم القرآن وتعليمه وتعاهده خشية النسيان ، فإنه أشدُّ تفلُّتاً من الإبل المخاض المربوطة بعُقُلها أي أَزِمَّتها .

الحثُّ على تعليم الأولاد الصغار قراءة القرآن الكريم

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : تعليمُ الصبيان القرآنَ أصلٌ من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة ، ويسبِق إلى قلوبهم أنوار الحكمة

---

(١) قال المنذري في الترغيب : رواه ابن ماجه بإسناد حسن . اهـ .

قبل تمكُّـنِ الأهواء منها ، وسوادِها بأكدار المعصية والضلال .

قال رحمه الله تعالى : وكان صلى الله عليه وسلم يشترط على وفـود الأعـراب بعد إسلامهـم — قراءة القرآن بينهم وتعليمهم أمر الدين وإقامة المؤذنين . اهـ

وقد بين النبي ﷺ فضل الذي يعلم ولده القرآن ، جاء ذلك في كثير الأحاديث نذكر أطرافها :

عن بريدة رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول : « تَعَلَّموا البقرة فإن أَخْذَها بركة ، وتَرْكَها حسرة ، ولا يستطيعها البَطَلَة » أي السَّحَرة . ثم سكت ﷺ ساعة ثم قال : « تعلَّموا البقرة وآل عمران فإنهما الزَّهراوان[1] يُظِلّانِ صاحبَهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أوغيايتان أو فِرقانٌ من طيرٍ صَوَافٍّ ، وإن القرآن يَلقَى صَاحبَه يوم القيامة حين ينشقُّ عنه قبره كالرجل الشاحب[2] فيقول — أي القرآن لصاحبه — : هل تعرفني ؟ فيقول : مااعرفك ، فيقول : أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأتُك في الهواجر وأسهرتُ ليلك .

وإن كلَّ تاجر وراء تجارتـه — أي يطـلب رِبْحَهـا — وإنك اليـوم من وراء كل تجارة أعظـمُ رِبْحـاً ، فيُعطَـى — أي صاحبُ القـرآن — المُـلْك بيمينـه

---

(١) تثنية زهراء ، وهي المنيرة بالنور الوضاء ، ومنه : نجم الزهراء .

(٢) أي المتغيِّر اللون والجسم بعارض مرض أو سفر . وإنما تمثل له قرآنه بذلك تشبُّهـا بصاحبـه في الدنيـا حيث كان يتـعب نفسه بقيـام الليـل بالقـرآن وصيـام النهار ، وذلك أرجـى في مقـام الشفاعـة به عندالله تعالى .

والخُلْد بشماله ، ويوضع على رأسه تاجُ الوقار ، ويُكسى والداه حُلَّتين لاتقوم لهما - أي لاتُقدَّر بهما - الدنيا ، فيقولان : بم كُسِينا هذا ؟ فيقال : بأخْذِ ولدِكما القرآن ». وفي رواية الطبراني : « بتعلم ولدكما القرآن، ثم يقال - أي للقارىء - : اقرأ واصْعَدْ في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود مادام يقرأ ، هذّاً كان أو ترتيلًا »

قال الحافظ الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وروى ابن ماجه طرفاً منه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال : «مامِن رجل يُعَلِّم ولده القرآن في الدنيا إلّا تُوِّجَ أبوه يوم القيامة بتاجٍ في الجنة يعرفه به أهل الجنة ، بتعليم ولده القرآن في الدنيا » . رواه الطبراني على ضعف فيه .

وروى الحاكم - وقال صحيح على شرط مسلم - عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن وتعلَّمه وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجاً من نورٍ ضوؤُه مثلُ ضوء الشمس ، ويُكْسَى والداه حُلَّتين لاتقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بِمَ كُسِينا هذا ؟ فيقال : بأَخْذِ ولدِكما القرآن ».

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من علَّم ابنه القرآنَ نظراً - أي في المصحف - غُفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، ومَن علَّمه إياه ظاهراً - أي عن ظهر قلب - بعثه الله تعالى يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر ويقال لابنه : اقْرأْ ، فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الأبَ بها درجة ، حتى ينتهي إلى آخر مامعه من القرآن[1] ».

---

(١) رواه الطبراني . قال الهيثمي : وفيه من لم أعرفه .

وعن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي ﷺ قال : «أَدِّبوا أولادَكم على ثلاثِ خصال : حبِّ نبيكم ، وحبِّ أهل بيته ، وقراءةِ القرآن ، فإن حملة القرآن في ظلِّ الله يوم القيامة يوم لاظلَّ إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه[١] ».

فينبغي لوليّ الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر ، وذلك لأجل أن يَتَوَجَّها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربُّهم وأن هذا كلامه تعالى ، ولأجل أن تسري روح القرآن في قلوبهم ، ويشرق نوره في عقولهم وأفكارهم ومداركهم وحواسِّهم ، ولأجل أن يتلقنا عقائدَ القرآن منذ الصغر وأن ينشئا ويشبّا على محبة القرآن والتعلُّق والتعشُّق به ، والائتمار بأوامره والانتهاء عن مناهيه ، والتخلُّق بأخلاقه والسير على منهاجه . ولأن التعلُّم في حال الصغر هو أرسخ في الحافظة ، وأبقى في الذاكرة ، وأوقع في القلب ، واشدُّ انطباعاً في النفس .

عناية النبي ﷺ بتعليم القرآن الكريم ونشره

روى الإمام أحمد عن أبي عبدالرحمن السُّلَمي قال : حدَّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يَقْتَرِئون من رسول الله ﷺ عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا مافي هذه العشر من العلم والعمل . قالوا : فعلمنا العلم والعمل .

وروى محمد بن نصر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنا

---

(١) رواه الديلمي وابن النجار على ضعف في سنده .

إذا تعلَّمنا من النبي ﷺ عشراً من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعلم مانزل في هذه من العمل .

وهذا دليل على أنهم كانوا يهتمون بفهم معاني القرآن وتحقيقه عملاً . وقد بعث النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه في بيعة العقبة الثانية إلى المدينة ليعلم الأنصار القرآن ويفقِّههم في الدين ، فنزل على أسعد بن زرارة وكان يسمى المقرىء والقارىء . وبعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه قاضيا إلى اليمن يعلم الناس القرآنَ وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم .

واستعمل النبي ﷺ عمرو بن حزم الخزرجي النجَّاري على نجران ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ، ويأخذ الصدقات منهم . كما ذكر ذلك في «الاستيعاب».

وكانت صُفَّة المسجد النبوى مدرسةً للقراءة يأوي إليها فقراء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ممن لا أهل لهم يتدارسون القرآن ويتعلمونه ، ثم يذهبون في نواحي البلاد فيعلمونه الناس . وقد كان جماعة من الصحابة نَصَبوا أنفسهم للإقراء في المدينة بأمر النبي ﷺ حتى امتلأت المدينة بالقراء ، وكان لمعاذ بن جبل ثم ابن عباس عنايةٌ بتعليم القرآن ونشر علومه لأناس كثيرين لايحصيهم العدُّ في مكة المكرمة ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يجلس في مسجد الكوفة فيعلِّم الناس القراءة حتى بلغ عدد الثقات الذين أخذوا عنه القراءة مباشرة أو بواسطة مايقرب من نحو أربعة آلاف قارىٍ . وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه نصب نفسه لتعليم

القرآن في مسجد البصرة ، قال أبورجاء : فكان يُقعدنا حِلقاً حِلقاً يقرئنا القرآن .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم القرآن كلَّ يوم في جامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويقسم المتعلمين عشرةً عشرةً ، ويعين لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن وهو يشرف على الجميع ويرجعون إليه إذا غلطوا في شيء . كما ورد ذلك في تاريخ ابن عساكر .

وكان الإمام المقرىء ابن عامر في دمشق له أربعمائة عريف يقومون بتعليم القرآن تحت إشرافه . جزاهم الله تعالى خيراً .

اتِّخاذ المسلم ورداً من تلاوة القرآن الكريم

ينبغي للمسلم أن يتَّخذ لنفسه ورداً من تلاوة القرآن الكريم كل يوم وليلة مع التدبُّر والترتيل والحضور والخشوع والأدب ، وليحذر كلَّ الحذر من هجر التلاوة والإعراض عنها ، مخافةَ أن يناله وعيد من قوله تعالى : ﴿وقال الرسولُ ياربِّ إن قومي اتَّخَذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ . وذلك أن بعض الناس مَن هجر الإيمانَ بالقرآن ، ومنهم من هجر العملَ به وبأحكامه وأوامره ، ومنهم من هجر تلاوته .

ودليل سنيَّة اتخاذ ورد من القرآن يقرأ فيه أجزاء حسب سعته ونشاطه دون ملل ولاكسل ، دليل ذلك ماروله أبوداود عن ابن الهادِ قال : سألني نافع بن جبير بن مطعم فقال لي : في كم تقرأُ القرآن ؟ فقلت : ماأُحزِّبُه. فقال لي نافع : لاتقل ماأحزبه ، فإن رسول الله ﷺ قال : «قرأت جزءاً من القرآن» . قال حَسِبت أنه ذكره عن المغيرة بن شعبة .

وروى الإمام أحمد وأبوداود عن أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف . قال : وكان رسول الله ﷺ يأتينا كلَّ ليلة بعد العشاء يحدثنا قال : فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه . فقلنا : يارسول الله لقد أبطأتَ عنا الليلة؟ فقال : « إنه طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن فكرهتُ أن أجيءَ حتى أتِمَّهُ » قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة وحزب المفصَّل . والمراد : ثلاث سور هي من أولِ سورة البقرة إلى آخر النساء ، وخمس سور من أول سورة المائدة إلى آخر سورة التوبة ، وسبع سور من أول سورة يونس إلى آخر سورة النحل ، وتسع سور من أول سورة الإسراء إلى نهاية سورة الفرقان ، وإحدى عشرة سورة هي من أول سورة الشعراء حتى آخر سورة يٓسٓ ، وثلاث عشرة سورة من أول سورة الصافات إلى آخر سورة الحجرات ، والمفصَّل عبارة عن السُّبُع الأخير ، وهو على ثلاثة أقسام : طوال وأوساط وقصار ، كما هو مفصل في كتب الفقه .

وقد قال النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو : « اقرأ القرآنَ في كل شهر» قال عبدالله : فإني أُطيق أفضل من ذلك ، قال ﷺ : «فاقرأه في كل عشر» قال عبدالله : فإني أُطيق أفضل من ذلك ، قال ﷺ : «فاقرأْه في كل سبعِ ليال ولاتزدْ على ذلك » . وهذا النهي ليس للتحريم وإنما هو للإرشاد والإسعاد . فقد جاء في رواية هشيم أن النبي ﷺ قال لعبدالله ابن عمرو: « اقرأه في كل ثلاث»[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : وله شاهد عند سعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح من وجه آخر=

عادات السلف الصالح في ختم القرآن الكريم

قال الإمام النووي : كان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم لهم عادات مختلفة في قدر مايختمون فيه ، فروي عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في كل شهرين خَتمة واحدة ، وعن بعضهم في كل شهر خَتمة ، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة ، وعن بعضهم في كل ثمانِ ليالٍ ، وعن الأكثرين في كل سبع ليال ، وعن بعضهم في كل ست ، وعن بعضهم في كل خمس ، وعن بعضهم في كل أربع ، وعن كثيرين في كل ثلاث ، وعن بعضهم في كل ليلتين ، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين ، ومنهم من كان يختم ثلاثاً ، وختم بعضهم ثماني ختمات : أربعاً بالليل وأربعاً بالنهار ، فمن الذين يختمون ختمة كلَّ يوم وليلة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وتميم الداري وسعيد بن جبير والإمام الشافعي وغيرهم ، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ بابنٍ له فقال : يارسول الله إن ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل ! فقال رسول الله ﷺ : « أَما تَنْقِم أن ابنك يَظَلُّ ذاكراً ويبيت سالماً ؟ » . رواه أحمد بسند حسن . ومن الذين كانوا يختمون كل يوم وليلة ثلاث ختمات سُلَيم

= عن ابن مسعود : «اقرؤوا القرآن في سبع ولا تقرؤوه في أقل من ثلاث » ولأبي عبيد من طريق الطيب بن سلمان عن عمرة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان لايختم في أقل من ثلاث. قال الحافظ: وهذا اختيار أحمد وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهم، وثبت عن كثيرين من السلف أنهم قرؤوا القرآن في أقل من ثلاث .

ابن عِتْر قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهم . وروي أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات ، وكان ابن الكاتب يختم في النهار أربع ختمات وفي الليل أربع ختمات . قال الإمام النووي : وهذا أكثر مابلغنا في اليوم والليلة، وروى السيد الجليل أحمد الدورقي بإسناده عن منصور بن زاذان من عُبَّاد التابعين أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ، ويختمه أيضاً بين المغرب والعشاء في رمضان ، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل . رواه أيضاً في الحلية . وروى أبوداود بإسناده الصحيح أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان ، وعن إبراهيم بن سعد : كان أبي يحتبي فما يَحُلُّ حَبْوته حتى يختم القرآن.

وأما الذين يختمون في ركعة فلا يُحْصون لكثرتهم . فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم ، ونقل الحافظ محمد بن نصر المروزي أن ثابتاً البُنَاني كان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر .

وقال حميد الطويل : ماترك ثابت البناني في المسجد سارية – أي عموداً – إلا وقد ختم عندها القرآن في صلاة ، وما سار في حاجة إلا كان أولَ مايقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ثم يتكلم بحاجته . وكان أبوحمزة يختم القرآن كل يوم وليلة ، ويصلى مابين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان يصوم الدهر ، وخرج صالح بن كيسان إلى الحج فربما ختم القرآن مرتين في ليلة واحدة بين طرفي رحله .

وجاء في«تذكرة الحفاظ» أن أبابكر بن عياش المقرىء لم يضع جنبه - أي للنوم على الأرض - أربعين سنة ، ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية ، ختمت فيها ثماني عشرة ألف ختمة . أي : وهذا سوى ماختمه في سائر الأماكن .

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يقرأ في كل أسبوع ختمتين : إحداهما في الليل والأخرى في النهار . قال القاضي أبويعلى : وقد ختم إمامنا أحمد بن حنبل القرآن في ليلة واحدة بمكة مصلياً به .

ولو أننا تتبعنا ماكان عليه سلف الأمة من الاهتمام بالقرآن الكريم والاستكثار منه لعجز القلم عن استقصاء ذلك .

استحباب المواظبة على ورد من القرآن في جوف الليل

قال الله تعالى : ﴿ مِن أهلِ الكتابِ أمَّةٌ قائمةٌ يتلونَ آياتِ الله آناءَ الليلِ وهم يسجدون ﴾ .

ينبغي للمؤمن أن يكون له ورد من القرآن الكريم يقوم به في الليل ، والأفضل أن يقوم به في صلاته من الليل . قال الإمام النووي : واعلم أن فضيلة قيام الليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير ، وكلما كثر كان أفضل ، إلا أن يستوعب الليلَ كله فإنه يكره الدوام عليه وأن لايضر بنفسه ، ومما يدل على حصوله بالقليل حديث عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «مَن قام بعشرٍ آياتٍ لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطَرين » رواه أبوداود

وعن تميم الداري عن النبي ﷺ : « مَن قرأ عشر آياتٍ في ليلة كُتِبَ له قنطار ، والقنطار خير من الدنيا ومافيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل : اقرأْ وارقَ بكل آية درجة ، حتى ينتهي إلى آخر آية معه ، يقول الله عز وجل للعبد : اقبِضْ . فيقول العبد بيده : يارب أنت أعلم ، يقول : بهذه اليدِ الخُلْدُ وبهذه -اليدِ- النعيم » . رواه الطبراني بإسناد حسن كما في «ترغيب» المنذري .

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «لا حَسَدَ إلا في اثنتين - أي لايُغْبط العبد إلا في خصلتين - رجل آتاه الله هذا الكتاب - وفي رواية : علمه الله القرآن - فقام به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله مالًا فتصدَّق به آناء الليل وآناء النهار » رواه البخاري ومسلم .

وكانت بيوت السلف الصالح تدوي بقراءة القرآن الكريم من كبيرهم وصغيرهم ورجالهم ونسائهم في سائر السنة عامة ، وفي شهر رمضان خاصة ليلَ نهارَ . قال أبوالأحوص : إنه كان الرجل من الصحابة رضي الله عنهم لَيطرق الفُسطاطَ ليلًا فيسمع لهم دَوِيّاً كدوي النحل ، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون !!

وقالت أم هانىء : كنت أسمع قراءة النبي ﷺ من الليل وأنا على عريشِ أهلي . وقال أبوالزناد : كنت أخرج من السَّحَر إلى مسجد النبي ﷺ فلا أمرُّ ببيت إلا وفيه قارىء ، وكنا ونحن فتيان نريد أن نخرج لحاجة فنقول موعدكم قيامُ القرّاء .

وقال أحمد بن أبي الحَوَاري : إني لأقرأ القرآن وأنظر فيه آية آية

فيتحير عقلي وأعجب من حفاظ القرآن كيف يَهْنِيهم النوم أو يَسَعُهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهو يتلون كلام الله تعالى ؟ أما إنهم لو فهموا مايقرؤون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحْلَوْا المناجات به لذهب عنهم النوم بما قد رزقوا .

وأنشد ذوالنون المصري رضي الله عنه :

منع القُران بوعده ووعيده ... مُقَلَ العيون فليلَها لاتهجَع

فَهِموا عن الملك الجليل كلامه ... فهماً تذِلُّ له الرقابُ وتَخضَع

حكم من نام عن ورده

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مَن نام عن حِزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل » رواه مسلم .

ينبغي الاكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان

قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمضانَ الذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدَىً للناسِ وبيِّناتٍ من الهُدَى والفُرقانِ ﴾ الآية .

أنزل الله تعالى هذا القرآن جملةً إلى السماء الدنيا في بيت العزة ، وبدأ تنزيله تدريجاً على النبي ﷺ في شهر رمضان الذي هو سيِّد الشهور وأفضلُها ، وكان هذا الإنزال وهذا التنزيل في أفضل ليلةٍ من الشهر ، وهي ليلة القدر ذاتُ المقدار والفضل كما وصفها سبحانه ﴿ ليلةُ القَدْر خيرٌ من أَلِف شهر ﴾ يعنى أن العمل الصالح فيها خيرٌ من ألف شهر ، ووافقتْها أيضاً معاً ليلة التقدير والفضل كما وصفها سبحانه بقوله : ﴿حـمٓ . والكتابِ المبينِ . إنا أنزلْناه في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا مُنذِرين . فيها

يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ حكيم . أمرًا من عندنا ، إنا كنا مرسِلين ﴾ الآيات .
فماأعظمَها من ليلة وماأشرفها ! .

وقد ورد فى الحديث أن الكتب الإلهية أُنزلتْ في شهر رمضان ولكن القرآن خُص بنزوله في أفضل ليلة منه .

روى الإمام أحمد بسند حسن عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُنزلتْ صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لستٍّ مَضَيْنَ من رمضان ، والإنجيل لثلاثَ عشرة خَلَت من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربعٍ وعشرين خلت من رمضان » ورواه البيهقي أيضاً في «الشُّعَب» .

وقد استدل بهذا الحديث كثير من الصحابة والتابعين على أن ليلة القدر هي ليلة أربع وعشرين . نعم قد تكون كذلك وقد تتنقَّل في العشر الأخير .

فشهر رمضان هو ظرف تنزُّلات القرآن الكريم ، وجمع هذا الظرفُ من الأسرار والأنوار القرآنية ما لايجمعه أيُّ شهرٍ سواه . ذلك لأن أسرار التنزيلات القرآنية وأنوار التجلِّيات الربانية لها آثارها الثابتة المنصبغة في أوانها وأوانيها ، وظروفها الزمانية والمكانية ، فجدير بالمؤمن أن يكثر في شهر رمضان من تلاوة القرآن لعله ينصبغ بتلك الأنوار وينغمس في بحر تلك الأسرار .

جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس ، وكان أجودَ مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان – أي جبريل – يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارِسُه القرآن فَلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم

أجودُ بالخير من الريح المرسلة(١) .

وكان صلى الله عليه وسلم يُطيل القراءة في قيام رمضان ليلًا أكثر من غيره ، كما روى الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : أتيت النبي ﷺ في ليلةٍ من رمضان فقام يصلي فلما كبَّر قال : «الله أكبر ذوالملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » . ثم قرأ البقرة ثم آل عمران ثم النساء ، لايمرُّ بآيةِ تخويفٍ إلا وقف عندها ... الحديث .

وأمر عمر رضي الله تعالى عنه أبيَّ بن كعب وتميماً الداري رضي الله عنهما أن يقوما بالناس في رمضان ، فكان القارىء منهما يقرأ بالمأتين في الركعة الواحدة ، وما كانوا ينصرفون من قيام رمضان – أي صلاة التراويح – إلا آخرَ الليل لإدراك السَّحور .

وقد كان من السلف الصالح من يختم في صلاة التراويح في كل ثلاث ليال ختمةً ، ومنهم من يختم فيها كلَّ سبع ، ومنهم كل عشر .

قال العلامة ابن حجرٍ الهيتمي : وكان للشافعي رضي الله عنه في رمضان ستون خَتمة يقرؤها في غير الصلاة ، وعن أبي حنيفة رضي الله

(١) قال العلامة الطِّيبي : في هذا الحديث تخصيص بعد تخصيص على سبيل الترقى : فضَّل أولًا جوده ﷺ مطلقاً على جود الناس كلهم ، ثم فضَّل ثانياً جود كونه في رمضان على جوده في سائر أوقاته ، ثم فضل ثالثاً جوده ﷺ في ليالي رمضان عند لقاء جبريل ، على جوده في رمضان مطلقاً ثم شبه جوده ﷺ بالريح المرسلة اهـ .

أي : فإن الريح المرسلة تَعُمُّ البقاع والرقاع ، والضواحي وجميع النواحي ، فجوده ﷺ أعمُّ نفعاً وأشمل جمعاً للأرواح والأشباح والدنيا والآخرة .

تعالى عنه مثل ذلك أيضاً ، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال : إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام . وكان الإمام مالك رضي الله تعالى عنه إذا دخل رمضان يمسك عن قراءة الحديث ، ومجالسة أهل العلم ، ويقبل على تلاوة القرآن في المصحف . وكان النووي يترك جميع العبادة - أي نوافله المعتادة له - ويقبل على تلاوة القرآن . اهـ .

فمن كان في رمضان بين قيام الليل وصوم النهار وُفِّيَ أجره بغير حساب ونال شفاعة الصيام والقرآن ، كما ورد في المسند وغيره عنه ﷺ قال : « الصيام والقرآنُ يَشفعانِ للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أيْ ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه ، ويقول القرآن : منعتُه النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفَّعان فيه » .

وقد استحسن جماعة من السلف الصالح تلاوة سورة الفتح ﴿إنا فَتَحْنالكَ﴾ في أول ليلةٍ من رمضان استفتاحاً لأبواب الخير واستنزالًا للبركة والرحمة .

وروى الحافظ السِّلَفي بإسناده عن المسعودي أنه قال : بلغني أن من قرأ أول ليلة من رمضان ﴿إنا فتحنالكَ فتحاً مبيناً ﴾ في التطوع - أي صلاة النافلة - حُفِظ ذلك العام .

استحباب القراءة في جوف الليل جهراً مالَم يؤذ غيره

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماأَذِنَ الله تعالى - أي مااستمع - لشيء ماأَذِنَ لعبدٍ يقرأ القرآن في جوف الليل ... » الحديث رواه الترمذي . والمراد أن الله

تعالى يستمع لقراءة الليل استماعاً خاصاً .

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يُحبُّهم الله عز وجل : رجلٌ قام من الليل يتلو كتاب الله ، ورجلٌ تَصَدَّق صدقةً بيمينه يُخفيها عن شماله ، ورجلٌ كان في سَرِيَّة فانهزم أصحابه فاستقبل العدوّ » .

آداب ختم القرآن الكريم

ذَكَر أئمة القراء والعلماء بالقراءات - آداباً متعددة مطلوبةً عند ختم القرآن الكريم . فمن ذلك :

التكبير : كما بيَّن ذلك إمام القرَّاء الشيخ ابن الجزري رحمه الله تعالى في «تقريب النشر» وهو في الأصل سنة التكبير عند ختم القرآن العظيم عامة ، وشاع ذلك عنهم - أي عن أئمة القراءات - واستفاض وتواتر ، وتلقاه الناس عنهم بالقبول حتى صار العمل عليه في سائر الأمصار ، ولهم في ذلك أحاديث وردت مرفوعة وموقوفة .

ثم روى بإسناده عن أحمد بن أبي بزَّة - يعني البِزِّي - قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن عبدالله بن قُسْطَنْطين ، فلما بلغت «والضحى» قال لي : كبِّر حتى تختم ، فإني قرأت على عبدالله بن كثير فلما بلغت «والضحى» قال : كبر حتى تختم ، وأخبره أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أُبيَّ بن كعب أمره بذلك ، وأخبره أُبيٌّ أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك .

ثم قال رحمه الله تعالى : رواه الحاكم في مستدركه الصحيح عن أبي

يحيى محمد بن عبدالله بن يزيد الإمام بمكة ، عن محمد بن علي بن زيد الصائغ عن البِزِّي قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه البخاري ومسلم .

قلت - القائل هو الإمام ابن الجَزَري رحمه الله تعالى - : لم يرفع أحد حديث التكبير إلا البزي ، وسائر الناس - رووه موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغيرهما .

قال - رحمه الله تعالى : ورو عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال : إن تركتَ التكبير فقد تركتَ سنة من سنن نبيك عليه الصلاة والسلام .

قال شيخنا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا يقتضى تصحيحه لهذا الحديث . اهـ ثم بيَّن الشيخ ابن الجزري رحمه الله تعالى أن لفظ التكبير هو «الله أكبر» ونقل عن جماعة زيادة التهليل قبله وذلك بأن تقول : «لا إله إلا الله والله أكبر» .

ونقل أيضاً عن آخرين من القراء زيادة التحميد ، لما روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : إذا قرأتَ القرآن فبلغتَ قصار المفصَّل فاحْمَدِ الله وكبِّر . وجميع ذلك قبل البسملة، كما نصَّ على ذلك في تقريب النشر ، فيكون ترتيب ذلك : لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد بسم الله الرحمن الرحيم .

ومحل التكبير من آخر سورة والضحى إلى آخر سورة الناس ، وقيل من أول سورة والضحى إلى أول سورة الناس .

كما أنه يسن للقارىء إذا ختم أن يقرأ الفاتحة وأول سورة البقـرة إلى ﴿هم المفلحون﴾ وذلك لما تقدم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن النبي ﷺ سئل : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى لله تعـالى ؟ فقـال ﷺ : «الحالُّ المُرْتَحِل» ثم بيَّـن ذلك بقولـه : «الـذي يضرب من أول القـرآن إلى آخره كلّما حلَّ ارتحل» .

ومن آداب ختم القرآن الكريم :

أن يكون أول النهار أو أول الليل :

قال في الإتقـان : الأفضل – للقــارئ – أن يختم أوّل النهار أو أوّل الليل ، لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص رضي اللـه عنه أنه قال : إذا وافق ختم القرآن أوّل الليل صلَّتْ عليه الملائكة حتـى يُصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يُمسي[1] .

قال في الإحياء : ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر ، وأول الليـل في ركعتي سنة المغرب . اهـ يعنى هذا في الختمة التي يقرؤها في صلواته .

وقال ابـن المبـارك رحمه الله تعـالى : يستـحب الختم في الشتـاء أول الليل ، وفي الصيـف أول النهار . اهــ . ويعنـي بذلك امتـداد صلـوات الملائكة بامتداد الليل والنهار .

وفي كتـاب الرعايـة : قال مجاهـد : من ختم القـرآن نهاراً وُكِّـلَ به سبعون ألـف ملك يصلّـون عليـه حتـى يمسي ، ومـن ختم القـرآن ليـلًا

---

(١) ومثل هذا لايدرك بالرأى فله حكم المرفوع ، كما هو مقرر في موضعه ، وقد جاء مرفوعـاً من طريق أبي نعيم في الحلية كما في الفتح الكبير .

وُكِّلَ به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يصبح . اهـ وروى الديلمي في الفردوس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً : «إذا ختم العبد القرآن صلّى عليه عند خَتمه ستون ألف ملك» .

ويستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوماً نهى الشرع عن صيامه ، فقد روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح عن جماعة من التابعين أنهم كانوا يصبحون في يوم ختمهم صياماً .

استحباب حضور مجلس ختم القرآن وفضله الكبير

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ويستحب حضور مجلس ختم القرآن استحباباً متأكداً فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الحُيَّضَ بالخروج يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين .

وروى الدارمي وابن أبي داود بإسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يجعل رجلًا يراقب رجلًا يقرأ القرآن فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس رضي الله عنهما فيشهد ذلك . اهـ .

وأخرج الطبراني بإسناد الثقات عن أنس رضي الله عنه أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وعن الحكم بن عتيبة قال : أرسل إليّ مجاهد وعبدة بن أبي لبابة فقالا : إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يُستجاب عند ختم القرآن ، وإنه كان يقال : إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن .

وقال مجاهد : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون : تنزل الرحمة.

استحباب الدعاء عند الختم لأنه مجاب

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ويستحب الدعاء عقب الختم استحباباً متأكداً .

روى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال : من قرأ القرآن ثم دعا أُمِّن على دعائه أربعة آلاف ملك .

قال : وينبغي أن يُلحَّ في الدعاء وأن يدعو بالأمور المهمة ، وأن يكثر من ذلك في صلاح المسلمين . اهـ .

وروى الطبراني عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من صلّى صلاة فريضة فله دعوةٌ مستجابة ، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة[1]» .

وروى الخطيب عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « إن لصاحب القرآن عند خَتمه دعوةً مستجابة ، وشجرة في الجنة لو أن غراباً طار من أصلها لم ينتهِ إلى فرعها حتى يدركه الهرم » .

وروى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « إن لقارىء القرآن دعوةً مستجابة ، فإن شاء صاحبُها تعجَّلها في الدنيا وإن شاء أخَّرها إلى الآخرة[2] » .

وفي شُعب البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « من قرأ القرآن وحَمِد الربَّ وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير من مكانه » .

---

(١) انظر الجامع الصغير . (٢) انظر ذلك في الفتح الكبير وأصله .

قال في الإتقان بعدما أورد هذا الحديث : ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في ختمة أخرى عقب الختم - الأول - لحديث الترمذي لما سئل أي الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله تعالى الحالُّ المرتحِل » قيل : وما الحالُّ المرتحل ؟ قال : «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلّما حلَّ ارتحل ».

وأخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنهم أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أي ختم القرآن افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام . اهـ من الإتقان .

وروى الديلمي في الفردوس عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : «إذا ختم أحدكم فليقل : اللهم آنِسْ وحشتي في قبري » .

ومن الأدعية الواردة عنه صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي إماماً ونوراً وهدىً ورحمة ، اللهم ذَكِّرني منه مانسيتُ وعلِّمني منه ماجَهِلتُ ، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله لي حجةً يارب العالمين[1] » .

ومن الوارد عنه ﷺ ما رواه أحمد والبزار وأبويعلى وابن حبان والحاكم وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ماأصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حَزَن فقال : اللهم إني عبدُك

---

(١) قال الحافظ العراقي : رواه أبو منصور المظفر وأبو بكر بن الضحاك من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلًا . اهـ .

وابنُ عبدِك وابنُ أَمَتِك ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ علمُك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك ، سميتَ به نفسَك ، أو أنزلتَه في كتابك ، أو علَّمتَه أحداً من خلقك ، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك - أن تجعلَ القرآنَ العظيم ربيعَ قلبي ، ونورَ صدري ، وجِلاء حزني وذَهابَ همّي - إلا أذهب الله عز وجل همَّه وأبدله مكانه فرحاً » الحديث .

ويحسن الدعاء بما رواه الترمذي عن سيدنا علي رضي الله عنه في الدعاء الذي تعلَّمه من رسول الله ﷺ :

« اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتَني ، وارحمني أن أتكلَّفَ ما لايَعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني .

اللهم بديعَ السمواتِ والأرض ، ذاالجلالِ والإكرام ، والعزَّة التي لاتُرام ، أسألك ياالله يارحمنُ بجلالك ونور وجهك أن تُلْزم قلبي حفظ كتابك كما علَّمتني ، وارزقني أن أتلوَه على النحو الذي يرضيك عني .

اللهم بديعَ السمواتِ والأرضِ ذا الجلال والإكرام والعزَّة التي لاتُرام أسألك الله يَارحمن بجلالك ونور وجهك الكريم أن تنوِّر بكتابك بصري ، وأن تطْلق به لساني ، وأن تفرِّج به عن قلبي ، وأن تَشرح به صدري ، وأن تَغسل به بدني ، فإنه لايُعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ». آمين .

أحكام سجدة التلاوة

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هذا الحديثِ تَعجَبونَ وتَضْحَكونَ ولا

تَبْكون وأنتم سامِدون فاسْجُدوا لله واعْبُدوا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ لايُؤمِنُونَ . وإذا قُرِىءَ عليهِمُ القرآن لايَسجدون ؟ !﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجد اعتزلَ الشيطانُ يبكي يقول : ياويله – وفي رواية : ياويلي – أُمِر ابنُ آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة ، وأُمرتُ بالسجود فأبيتُ فليَ النار » رواه مسلم .

وقد اختلف الأئمة في حكم سجدة التلاوة فذهبت الحنفية إلى أنها واجبة واحتجوا على ذلك بالآيتين السابقتين حيث إن الله أمر بالسجود عند قراءة القرآن ، في الآية الأولى ، وذمَّ في الآية الثانية وأنكر على الذين لايسجدون إذا قرىء عليهم ، وفي ذلك دليل الوجوب .

وذهبت الأئمة الشافعية إلى أنها سنة ، قال الإمام النووي : مذهبنا أنه – أي سجود التلاوة – سنة وليس بواجب ، وبهذا قال جمهور العلماء ، ثم قال : واحتجوا على ذلك بما في الصحيحين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : قرأت على رسول الله ﷺ ﴿والنجم﴾ فلم يسجد فيها ، وبما في الصحيحين من حديث الأعرابي لما قال له النبي ﷺ : « خمسُ صَلواتٍ في اليوم والليلة » فقال الأعرابي : هل عليَّ غيرُها ؟ قال : « لا ، إلا أن تَطَوَّعَ » واحتجوا أيضاً بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل ، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس ، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأها ، حتى إذا جاء السجدة قال : ياأيها الناس إنما نمرُّ بالسجود

فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه ، ولم يسجد عمر.

وفي رواية : قال عمر : إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء . رواه البخاري .

وأما كيفية سجدة التلاوة : فعند الحنفية هي : سجدةٌ بين تكبيرتين مسنونتين ، وقيامين مستحبين ، بلا رفع يدٍ ، وبلا تشهد ، وسلام ، فيكبِّر قائمًا ، ثم يَهوي إلى السجود ، ثم يكبِّر ، وينهض قائمًا ، ويشترط لها ما يشترط للصلاة من الطهارة واستقبال القبلة ونحو ذلك ماعدا التحريمةَ ونيةَ التعيين عن آية كذا ، بل يكفي كونها عن التلاوة . وتفصيل ذلك في كتب الفقه .

وأما عند الشافعية فهي سنة كما تقدم ويشترط لها : النية ، وتكبيرة الإحرام ، وسلام بعد الجلوس ، فهي : سجدة بين تكبيرة إحرام ، مع النية ، وبين سلام بعد الجلوس .

وأما أذكار سجدة التلاوة .

فإن كانت في صلاة مفروضة قال : سبحان ربي الأعلى ثلاثا ، وإن كانت في صلاة نافلة أو في غير الصلاة فله أن يأتي فوق التسبيحات بما ورد ، كأن يقول : اللهم لك سجدتُ وبك آمنت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوته تبارك الله أحسن الخالقين ، ويقول : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروح ، ويقول : اللهم اكتبْ لي بها عندك أجرًا ، واجعلها لي عندك ذُخرًا ، وضَعْ عني بها وزرًا ، واقبلْها مني كما قبلتَها من عبدك داود صلى الله عليه وسلم .

الوصايا الإلهية ثم النبوية باتباع الكتاب والسنة والتمسك بهما

قال الله تعالى ﴿ وهذا كتابٌ أنزلْناه مُبارَكٌ فاتَّبِعوه واتَّقوا

لعلكم تُرحَمُون ﴾ .

والمعنى إن كنتم تَرجون رحمة الله تعالى في دنياكم وآخرتكم تلك الرحمة الجامعة لأنواع السعادات والخيرات والمسرّات - فعليكم باتِّباع أوامر هذا الكتاب العظيم ، واتقّاءِ مناهيه ، فبذلك تنالون السعادة والصلاح والنجاح والفلاح .

وقال تعالى : ﴿ والذين يُمَسِّكونَ بالكتابِ وأقاموا الصلاةَ إنا لانُضيعُ أَجر المُصلِحين ﴾ .

فالمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الصالحون والمصلحون ، فلا يكون الإنسان مصلحاً إلا إذا كان صالحاً ، ولايكون صالحاً إلا أن يكون متَّبعاً متمسِّكا بكتاب الله تعالى . جعلنا الله تعالى منهم .

وقال الله تعالى : ﴿ وماآتاكُمُ الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتَّقو الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

وقد أوصى النبي ﷺ في مواقفِ وداعه كلِّها بالتمسك بكتاب الله تعالى والاهتداء بنوره وبالتمسك بسنته ﷺ والسير على منهاجها .

فقد روى الإمام مسلم وأحمد عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أنه قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُمّاً - أي مكان يسمى خُمّاً بين مكة والمدينة -

فحمِد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال : «أما بعد : أَلَا أَيُّها الناس فإنما أنا بشر يُوشِك أن يأتيَ رسولُ ربي فأجيب - يريد بذلك وفاته ﷺ - وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلين أولهما : كتابُ الله ، فيه الهدى والنور فخُذوا بكتاب الله واستمسِكوا به» فحثَّ النبي ﷺ

على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال : «وأهلُ بيتي ، أُذكِّركم اللهَ في أهل بيتي ، أُذكِّركم الله في أهل بيتي » . فقال رجل لزيد بن أرقم : ومَن أهلُ بيتيه يازيد ، أليس نساؤه ﷺ ؟ فقال زيد : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته مَن حُرِم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حُرم الصدقة ؟ قال زيد : نعم . وفي رواية لمسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتابُ الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضلَّ» .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودِّع فقال : « أنا محمد النبيُّ الأميُّ ، أنا محمد النبيُّ الأميُّ ، أنا محمد النبيُّ الأميُّ ، ولا نبيَّ بعدي ، أُوتيتُ فواتِحَ الكَلِمِ وخواتِمَه وجوامعه ، وعُلِّمت كم خزنةُ النار ، وحملة العرش وتُجوِّزَ بي ، وعُوفيتُ وعوفيتْ أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله تعالى أحلُوا حلاله ، وحَرِّموا حرامَه » رواه أحمد وغيره .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «من اتَّبع كتاب الله هداه من الضلالة ووقاه سوءَ الحساب يوم القيامة » .

فالواجب على العاقل أن يتمسك بكتاب الله تعالى وأن يستعين على ذلك بالدعاء بأن يوفِّقه الله تعالى لذلك ويعينه على ذلك . وقد علَّم رسول الله ﷺ أمته أن يدعوا بذلك ، كما روى الطبراني في الأوسط عن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال له : « قل : اللهم افتح

مسامعَ قلبي لِذِكْرك ، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك وعملًا بكتابك» .

وروى الطبراني في الكبير وابن حبان عن أبي شُرَيح رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أَبْشِروا وبشِّروا . أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ » فقالوا : بلى ، فقال ﷺ : « إن هذا القرآنَ طَرَفُه بيدالله وطَرفه بأيدكم ، فتمسَّكوا به فإنكم لن تَضِلُّوا ولن تَهلِكوا بعده أبداً» .

ورواه ابن أبي شيبة بلفظ : « إن هذا القرآن سَبَبٌ - أي حبل - طرفُه بيدالله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تَضلوا ولن تَهلِكوا بعده أبداً » .

وروى ابن عساكر عن أبي مسعود مرفوعاً : « اعبُدِ اللهَ ولا تُشْرِكْ به شيئاً وَزُلْ مع القرآن حيث زال - أي كن متمسكا به تاركاً لهوى نفسِك حيث كنت - واقبَلِ الحقَّ ممن جاء به من صغير أوكبير وإن كان - الذي جاء به - بغيضاً ، وارْدُدِ الباطلَ على من جاء به من صغير أوكبير وإن كان حبيباً قريباً » .

وقد بيَّن النبي ﷺ أن هذا القرآن الكريم فيه الهدى والنور وأن مَن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، فكلُّ ماخالف القرآن الكريم فهو ضلال وفساد وشرّ على صاحبه وعلى من عمل به .

روى الإمام الترمذي عن علي كرم الله تعالى وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَمَا إنها ستكون فتنة » قلت : فما المخرجُ منها يارسول الله ؟ قال : « كتابُ الله تعالى ، فيه

نبأُ ماقبلكم ، وخبرُ مابعدكم ، وحُكم مابينكم ، هو الفَصْل ليس بالهزل ، مَن تركه مِن جبَّار قَصَمه الله تعالى ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله تعالى ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذِّكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لاتَزِيغُ به الأهواء ولا تَلتَبِس به الألسنة ، ولاتَشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَق على كثرة الردِّ ولا تَنْقضى عجائبه ، وهو الذي لم تنتهِ الجنُّ إذْ سمعتْه حتى قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشْدِ فآمنَّا به . مَن قال به صدق ومَنْ عمل به أُجر ومَن حكم به عَدَل ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم » .

وكما أمر النبي ﷺ امته بالتمسك بكتاب الله تعالى - امرهم بالتمسك بسنته ﷺ وكما حذَّر امته من ترك العمل بكتاب الله تعالى حذَّرهم من ترك العمل بما جاء عنه ﷺ .

روى الحاكم وقال صحيح الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال ﷺ : «إن الشيطان قد أيس أن يُعبد بأرضكم ، ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحافون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركتُ فيكم ماإن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً كتاب الله تعالى وسنة نبيه » . الحديث كما في ترغيب المنذري .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أكل طيباً وعمل في سنة وأمِنَ الناس بوائقه - أي أذاه وشرَّه - دخل الجنة» قالوا : يارسول الله إن هذا في أمتك اليوم كثير قال ﷺ: «وسيكون في قوم بعدي » .

قال الحافظ المنذري : رواه ابن أبي الدنيا والحاكم - واللفظ له - وقال صحيح الإسناد . اهـ

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «ستةٌ لعنتُهم ولعنهم الله وكلُّ نبيٍّ مُجابٌ : الزائد في كتاب الله عز وجل ، والمكذِّب بقدر الله ، والمتسلِّط على أمتي بالجبروت ليذلَّ مَن أعزَّ الله ويعزَّ من أذلَّ الله ، والمستحلُّ حرمة الله تعالى ، والمستحلُّ من عِترتي ماحرَّم الله تعالى ، والتارك السُّنَّة » .

قال المنذري : رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد ولا أعرف له علَّة . اهـ .

من بلغه القرآن فكأنما رأى رسول الله ﷺ وسمع منه

أخرج ابن مردويه وأبونعيم والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « مَن بَلَغه القرآن فكأنما شافهتُه به - أي كلمته - ثم قرأ ﴿ وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآن لِأُنْذِرَكُمْ به ومَنْ بَلَغ ﴾ .

وعن محمد بن كعب القُرَظي في قوله تعالى : ﴿ وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذرَكم به ومن بلغ ﴾ قال : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبيَّ ﷺ . وفي رواية عنه أنه قال : من بلغه القرآن حتى يَفهمه ويعقِله كان كمن عاين رسول الله ﷺ وكلَّمه . أي : فلا حجةَ له في إعراضه وتقصيره . رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وغيرهم .

تحذير المسلم من ترك العمل بالقرآن الكريم

إن الله تعالى أنزل كتابه الكريم للاتِّباع والعمل ، لا للهَجْر والكسل ، فحقٌّ على كل مكلف الاعتقاد بعقائد هذا القرآن ، والائتمار بأوامره

والانتهاء عن مناهيه .

قال الله تعالى : ﴿ وهذا كتابٌ أَنْزَلْناه مباركٌ فاتَّبِعوه واتقَّوا ، لعلكم تُرحمون ﴾ أي فاتبعوا أوامره واتقوا مناهيه .

التحذير من فصل السنة عن القرآن ومِنْ دعوى الاستغناء به عن السنة

قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية .

فمن لم يعمل بالسنة لم يعمل بالقرآن كما هو نص الآية وقد قرن الله تعالى بين الكتاب والسنة لتلازمهما ، فقال تعالى ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ والمراد بالحكمة هنا السنة النبوية المحمدية المشتملة على أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم فهي نازلة بالوحي من الله تعالى وهي بيان لكتاب الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ أي السنة .

وقال تعالى : ﴿ واذْكُرْنَ مايُتْلَى في بيوتكنَّ من آيات الله والحكمة﴾ أي السنة .

وقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعَلِّمَ امته الكتاب والحكمة قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميِّين رسولًا منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين ﴾

وقد أخبر النبي ﷺ عن الرجل الضالِّ الذي يزعم أنه يكتفى في معرفة الحلال والحرام - بكتاب الله تعالى من غير أن يرجع إلى أحاديث رسول الله ﷺ بل يردُّها ويُعرض عنها وحذَّر ﷺ من تضليله .

فقد روى الترمذي وأبوداود عن المقدام بن معديكَرِب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديث عني وهو متَّكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناه ، وإن ماحرم رسول الله كما حرَّم الله». هذه رواية الترمذي .

ورواية أبي داود : قال قال رسول الله ﷺ : «ألا إني أوتيتُ هذا الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعانُ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه ، ألا لايحلُّ لكم الحمارُ الأهليُّ ولا كلُّ ذي ناب من السباع ولا لُقَطةُ معاهَدٍ إلَّا أن يستغنيَ عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقْرُوهُ فإن لم يقروه فله أن يُعْقِبَهم بمثل قِراه » .

قال العلامة الخطابي في شرح هذا الحديث : قولُه ﷺ : «أُوتيتُ هذا الكتاب ومثله» يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أن معناه أنه ﷺ أوتي من الوحي الباطنِ غيرِ المتلوِّ مثلما أعطي من الظاهر المتلوِّ .

والثاني أنه ﷺ أوتي الكتاب وحياً وأوتي من البيان مثله أي أذن له أن يبين مافي الكتاب فيعّم ويخصّ ، ويزيد عليه ويشرع ماليس في الكتاب فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلوّ من القرآن . اهـ .

وعن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا أعْرِفَنَّ الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري إمَّا أَمرتُ به أو نَهيت عنه وهو متكيء على أريكتِه فيقول ماندري ما هذا ؟ عندنا كتاب الله وليس هذا فيه . وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن وبالقرآن هداه الله » أخرجه الترمذي وأبوداود[١] .

تحذير المسلم من ترك الأوامر القرآنية

عن عبدالرحمن بن شِبل عن النبي ﷺ قال : «اقرؤوا القرآنَ واعملوا به ، ولاتَجْفُوا عنه[٢] ولاتَغْلُوا فيه[٣] ولا تأكلوا به ولاتستكثِروا به»[٤] رواه أحمد في المسند وقال في الفتح : سنده قوي.

وفي المسند أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ياحذيفة تعلَّمْ كتاب الله واتَّبعْ مافيه » قال ذلك ثلاث مرات

تحذير المسلم أن يستحلَّ محارم القرآن

رُوى عن النبي ﷺ أنه قال : « ماآمنَ بالقرآن مَن استحلَّ محارمه » رواه الترمذي عن صهيب رضي الله عنه .

---

(١) انظر جميع ذلك في جامع الأصول لابن الأثير .

(٢) أي : لاتبعدوا عن تلاوته .

(٣) أي : لاتجاوزوا حده : من حيث لفظه بأن تخرجوا عن أحكام تجويده ، ولا من حيث معناه بأن تتأولوه بالباطل اتباعا لأهوائكم .

(٤) أي : لاتجعلوه سبباً للاستكثار من حطام الدنيا .

قال العلامة الطيبي : من استحل ماحرم الله تعالى فقد كفر مطلقاً ، فخَصَّ القرآن لعظمته وجلالته ، وهذا معنى قول أنس بن مالك رضي الله عنه : رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآنُ يلعنه .

إن من شر الناس من يقرأ القرآن ولا يَرْعوي

روى النسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس عام تبوك وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال : « ألا أُخبِركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس رجلًا عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره ، أو على قدميه ، حتى يأتيه الموت ؛ وإن من شر الناس رجلًا فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله ولايرعوي » أي لاينكفُّ ولا ينزجر عن القبح الذي نهى عنه القرآن . ورواه أحمد والحاكم وصححه .

وروى الطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اقرأ القرآنَ مانهاكَ ، فإن لم يَنْهَكَ فلستَ تقرؤه » وكذا رواه أبونعيم والديلمي ، كما في الجامع الصغير وشرح الإحياء .

والمعنى : أنك مادمتَ تقرأ القرآن مؤتمراً بأمره ومنتهياً بنهيه وزجره فأنت القارىء الكامل ، وبذلك يكون القرآن الكريم حجةً لك بين يدي رب العزة ، وإن لم تكن كذلك فحالك نذير وموقفك خطير .

وقد رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « رُبَّ حامِلِ فقهٍ غير فقيه ، ومَن لم ينفعه علمه ضرّه جهله ، اقرأ القرآنَ مانهاك فإن لم يَنْهك فلست تقرؤه » كما في ترغيب المنذري .

من لم يعمل بما في القرآن الكريم يبدأ عذابه في عالم البرزخ - أي القبر - إلى ماوراءه من الحشر

روى البخاري عن سَمُرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول لأصحابه « هلْ رأى أحدٌ منكم رؤيا ؟ » فيَقُصُّ عليه من شاء الله أن يقصَّ ، وإنه صلى الله عليه وسلم قال ذاتَ غداةٍ : « إنه أتاني الليلةَ آتيانِ - وهما جبريل وميكائيل كما ورد في آخر الحديث - وإنهما ابتعثاني فقالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما .

- وفي رواية : فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة . وفي رواية أحمد : إلى أرض فضاء أو أرض مستوية - وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلَغُ - أي يشدخ رأسه - فيتَهدْهَد الحجر - أي يتدحرج - هٰهنا ، فيتبع الحجرَ فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل مافعل المرة الأولى . قال ﷺ : فقلت لهما سبحان الله ماهذان ؟ » ثم أجابه الملكان بعد ذلك فقالا للنبي ﷺ : «أما الرجل الذي أتيتَ عليه يُثلَغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه - أي لايتقبل العمل به - وينام عن الصلاة المكتوبة » .

وفي رواية للبخاري في كتاب الجنائز : « قالا : وأما الذي رأيتَ يُشْدَخُ رأسُه فرجل علَّمه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار ، يُفعَل به - أي يعذب بذلك - إلى يوم القيامة » الحديث ، كما في كتاب الجنائز والتعبير من البخاري .

مخاصمة القرآن لمن لم يعمل به وانتصاره للعامل به

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «يُؤتَى برجل يوم القيامة ويُمثَّل له القرآن قد كان يُضيِّع فرائضه ، ويتعدَّى حدوده ، ويخالِف طاعته ، ويركب معاصيَه فيقول : أي ربِّ حمَّلتَه آياتي فبئس حاملي : تعدَّى حدودي ، وضيَّع فرائضي ، وترك طاعتي ، وركب معصيتي ! فما يزال يقذِف عليه بالحُجَج حتى يقال له : فشأنَك به ! فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يَكُبَّه على منخره - أي على وجهه - في النار . ويُؤتَى بالرجل قد كان يحفظ حدود القرآن ، ويعمل بفرائضه ، ويعمل بطاعته ، ويجتنب معصيته ، فيصير خصماً دونه فيقول : أيْ ربِّ حمّلتَ آياتي خيرَ حامل : اتَّقى حدودي ، وعمل بفرائضي ، واتَّبع طاعتي ، واجتنب معصيتي ، فلا يزال يَقْذِف له بالحُجَج حتى يقال له : فشأنَك به ، فيأخذ بيده فمايزال حتى يكسوَه حُلَّة الإستبرق ويضعَ عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك » . قال في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلِّس ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . ورواه ابن أبي شيبة وابن الضُّرَيس كما في «منتخب الكنز» .

القرآن هو الحجة عند الله تعالى

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «الطُّهور شطر الإيمان ، والحمدُ لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السماء والأض ، والصلاةُ نور ، والصدقة برهان ،

والصبرُ ضياء ، والقرآن حجةٌ لك أو عليك ، كلُّ الناس يغدو فبائعٌ نفسَه فمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُها » رواه مسلم .

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ثلاثة تحت العرش يوم القيامة : القرآنُ له ظهر وبطن[1] يُحَاجُّ العبادَ ، والأمانةُ ، والرحِمُ تنادي : ألا مَن وصلني وصله الله تعالى ، ومن قطعني قطعه الله » رواه ا لبغوي في شرح السنة ، ورواه الحكيم الترمذي ومحمد بن نصر .

فإذا كان يوم القيامة وقف القرآن موقف الاحتجاج ، فإما أن يَحتج للعبد ، وذلك إن كان عمل به ، وإما أن يحتج على العبد ، وذلك إن كان خالف ماجاء به القرآن .

قال أبوموسى الأشعري : إن هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً ، وكائن عليكم وزراً ، فاتبعوا القرآن ولايتبعنَّكم القرآن ، فإنه من اتَّبع القرآنَ - أي عمل به - هبط به على رياض الجنة ، ومن اتبعه القرآنُ - بأن لم يعمل به - زُجَّ في قفاه فقذفه في النار .

وعن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال : إن القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى ، فمن وقَّر القرآنَ فقد وقَّر الله ، ومن لم يوقر القرآن فقد استخفَّ بحق الله ، والقرآن شافع مشفَّع ، وماحلٌ مصدَّقٌ فمن

---

(١) قال في التيسير : فظهره لفظه ، وبطنه معناه ، أو : ظهره ماظهر من تأويله وبطنه مابطن من تفسيره . اهـ وثمة معارف ومفاهيم ، وفوق كل ذي علم عليم .

شَفَع له القرآن شفَّع ، ومن مَحَلَ به القرآن صُدِّق ومن جعل القرآنَ أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار . الأثر كما تقدم .

خصائص بعض السور والآيات والترغيب في قراءتها

سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن

روى البخاري عن أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله تعالى عنه قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجِبْه ، فقلت : يارسول الله إني كنت أصلي فقال : «أَلَم يقلِ الله تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لله وللرسول إذا دعاكُم لِمَا يُحْيِيكم ﴾ ثم قال لي : « لَأُعَلِّمَنَّك سورةً هي أعظم سورةٍ في القرآن » فقال ﷺ : « الحمد لله رب العالمين هي السبعُ المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيتُه » .

سورة الفاتحة هي أفضل القرآن

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «أفضل القرآنِ : الحمد لله رب العالمين »[1].

سورة الفاتحة أمّ القرآن

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أبيّ بن كعب فقال ﷺ : « ياأبيٌّ » وهو – أي أبيٌّ – يصلي ، فالتفت فلم يجبه ، وصلى أبيّ فخفف ، ثم انصرف إلى رسو ل الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «وعليك السلام . مامنعك ياأبيّ أن تجيبني إذ

(١) رواه الحاكم والبيهقي كما في الجامع الصغير .

دعوتُك » فقال : يارسول الله إني كنت في الصلاة قال : « أفلم تجدْ فيما أُوحي إليّ أن ﴿ استَجِيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحْييكم ﴾؟ قال أبيّ : بلى ولا أعود إن شاء الله . قال : « تُحبُّ أن أُعلمَك سورةً لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلُها؟» قال : نعم يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : «كيف تقرأُ في الصلاة؟» فقرأ أم القرآن فقال صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده ما أُنزلتْ في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلُها وإنها سبعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيتُه » .

فسورة الفاتحة تسمى أم القرآن ، وذلك لأن أم الشيء أصله ومرجعه ، ولذلك سميت مكة أم القرى ، لأنها الأصل ، فإن أول ماخلق الله تعالى من الأرض تلك البقعةُ دُحِيتِ الأرض من تحتها ، وإليها تَرجع سائر القرى في صلاتها وحَجِّها ، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها . وكذلك سورة الفاتحة تَرجع إليها سائر مقاصد القرآن ومجامع علومه إجمالًا ، لما تضمنته من الإلهيات والنبوات والشرائع وأحوال المبدأ والمعاد ونحو ذلك كما بينه المحققون . قال سيدنا علي كرم الله وجهه : لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب .

سورة الفاتحة تسمى سورة المناجاة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله تعالى عزوجل : قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين ،

ولعبدي ماسأل . فإذا قال ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله تعالى : حَمِدني عبدي ، وإذا قال ﴿الرحمنِ الرحيمِ﴾ قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي . فإذا قال ﴿ مالكِ يومِ الدين﴾ قال الله تعالى : مجَّدني عبدي – وقال مرة : فوَّض إليَّ عبدي – فإذا قال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ماسأل . فإذا قال ﴿ ﴿اهدِنا الصراطَ المستقيمَ . صراط الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال الله : هذا لعبدي ولعبد ماسأل » رواه مسلم وفي رواية للبيهقي : « فإذا قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ – يعنى في أول الفاتحة – قال الله تعالى : ذَكَرني عبدي » .

وتسمى الشافية والرُّقْيَة

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا فجاءتْ جارية فقالت : إن سيدَ الحي سليمٌ – أي لديغ – فهل منكم راقٍ ؟ فقام معها رجل ماكنا نأبِنُه برُقْية ، فرقاه – أي فقرأ عليه سورة الفاتحة – فَبَرَأ ، فأمر له بثلاثين شاةً ، وسقانا لبناً ، فلما رجع – أبوسعيد – قلنا له : أكنتَ تُحسن الرقية ؟ قال : لا ، مارَقَيْت إلا بأمّ الكتاب – أي سورة الفاتحة – قلنا : لاتُحْدِثوا شيئا – في الشِّياه – حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدمنا المدينةَ ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : «ومايدريه أنها رقية ! اقسِموا-الشِّياه – واضربوا لي بسهم » . رواه البخاري .

وفي هذا دليلُ مشروعيةِ الرقية بالقرآن ، ودليل من قال بجواز أخذ الأجرة على القراءة .

وتسمى الشفــاء

روى الدارمي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : «فاتحة الكتاب شفاء من كل سُمٍّ » .

وتسمى فاتحة الكتاب

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع نقيضاً – أي صوتاً – من فوقه ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقال –أي جبريل – : هذا باب من السماء فُتح اليومَ لم يُفتح قطُّ إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال – جبريل – : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليومَ ، فسلّم وقال : أبْشِرْ بنورين أُوتيتَهما لم يؤتَهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لم تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيتَه » .

وتسمى: الكافية ، لأنها تكفي عن غيرها وتسمى: الكنز .

ولها أسماء كثيرة

وهي أفضل سورة في القرآن . فقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ في مسير ، فنزل ونزل رجل إلى جانبه ، قال : فالتفتَ النبي ﷺ فقال : « ألا أخبركَ بأفضل القرآن ؟ » قال : بلى ، فتلا ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ كما في ترغيب المنذري .

ماورد في فضل سورة البقرة عامة وبعض آيات منها خاصة

سورة البقرة سَنام القرآن : عن مَعقِل بن يسار أن رسول الله

ﷺ قال : « البقرةُ سَنامُ القرآن وذِرْوَتُه ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملَكاً ، واستُخْرِجَتْ ﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم﴾ - آية الكرسي - من كنزٍ تحتَ العرش ، فوُصِلَتْ بسورة البقرة ، ويَس قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد اللهَ والدارَ الآخرة إلا غُفِرله ، اقرؤوها على موتاكم» . رواه الإمام أحمد .

سورة البقرة حصن من الشياطين

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً - أي نوّروها بالصلاة والقرآن - فإن البيتَ الذي تُقرأ فيه سورة البقرة لايدخله الشيطان » .

وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : «إن لكل شيء سناماً ، وإن سَنام القرآن البقرة ، وإن من قرأها في بيته ليلاً لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله شيطان ثلاثة أيام » رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه .

سورة البقرة شعار المجاهدين وفُسطاط العاملين

جاء في السِّيَر أن النبي ﷺ لما رأى يوم حنين في بعض أصحابه تأخُّرا أمر العباس فناداهم : ياأصحاب الشجرة - يعنى أهل بيعة الرضوان الذين بايعوه فيها على الموت - وجعل العباس ينادى : ياأصحاب سورة البقرة ، لينشطهم ويبعث فيهم الهمة ، لأن الله تعالى يقول في سورة البقرة ﴿ كَمْ مِن فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين ﴾

فجعلوا يُقبلون على رسول الله ﷺ من كل صَوْب وجهة ، وكذلك يوم اليمامة في الحرب مع مسيلِمة الكذاب ، جعل المهاجرون والأنصار يتنادون : ياأصحاب سورة البقرة ، حتى فتح الله تعالى عليهم ونصرهم .

وكان خالد بن مَعْدان يُسمي سورة البقرة «فُسْطاط القرآن » وذلك لعظمتها وحملها للعقائد والأحكام والمعاملات والأخلاق والآداب . وقد أقام ابن عمر ثماني سنين يتعلمها ويتدبرها ويحقق العمل بها حتى ختم ذلك كله ، فنحر بَدَنة شكراً لله .

عشر آيات من سورة البقرة أمان من كل مكروه

روى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيتَ شيطانٌ تلك الليلة : أربع آيات من أولها ، وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاثُ آياتٍ من آخرها ، لم يقربه ولا أهلَه يومئذ شيطانٌ ولا شيء يكرهه ، ولاتقرأ على مصروع إلا أفاق .

آية الكرسي هي سيدة آي القرآن

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء سَنام ، وإن سَنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آيِ القرآن : آية الكرسي » .

آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله تعالى

عن أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ سأله : « أيُّ آيةٍ في كتاب الله

أعظم ؟» قال : الله ورسوله أعلم . فردَّدَها مراراً ثم قال أبيّ : آية الكرسي . فقال صلى الله عليه وسلم : « لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر ، والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدّس الملِك عند ساق العرش » . رواه الإمام أحمد .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : أعظمُ آية في القرآن آية الكرسي، وأعدلُ آية في القرآن ﴿ إن الله يأمُرُ بالعدل والإحسان ﴾ إلى آخرها ، وأخوف آية في القرآن ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وأرجى آية ﴿ قل ياعبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ .

آية الكرسي مشتملة على الاسم الأعظم

عن أسماءَ بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين : ﴿الله لاإله إلا هو الحي القيوم﴾ و ﴿ ألم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ : « إن فيهما اسمَ اللهِ الأعظمَ » رواه الترمذي .

آية الكرسي حصن حصين

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكَّلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ فجعل يَحْثو – أي يتناول – من الطعام ، فأخذتُه وقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ . فقال دَعْني – اتركني – فإني محتاج وعليَّ عيال ، ولي حاجة شديدة قال : فخلَّيتُ عنه فأصبحت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أباهريرةَ ما فعل أسيرُكَ البارحةَ ؟ » قلت : يارسول الله شكى

حاجةً شديدة وعيالًا ، فرحِمته وخلَّيت سبيله . فقال ﷺ : «أَمَا إنه قد كَذَبَك وسيعود» قال أبو هريرة : فعرفتُ أنه سيعود لقول النبي ﷺ «إنه سيعود» .

فرصَدْتُه - فَرَقَبْتُه - فجاء يحثو الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ فقال : دعني فإني محتاج وعليّ عيال ، لاأعود . فرحِمته فخلَّيت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياأباهريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟» قلت : يارسول الله شكا حاجة وعيالًا ، فرحمته فخليت سبيله قال : « أما إنه قد كذبك وسيعود » قال أبوهريرة : فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخرُ ثلاثِ مراتٍ تزعم أنك لا تعود ثم تعود . فقال : دَعْني أعلِّمْك كلماتٍ ينفعْك الله بها . قلت : وماهي ؟ قال : إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأْ آيةَ الكرسي فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح .

قال أبو هريرة : فخلَّيتُ سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « مافعل أسيرك البارحة ؟ » فقلت : يارسول الله زعم أنه يعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها، فخليت سبيله ، فقال : «ماهي؟» فقال أبو هريرة : قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأْ آيةَ الكرسي حتى تختم الآية ، فلن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا - أي الصحابة - أحرصَ شيء على الخير - فقال النبي ﷺ : « أما إنه صَدَقَك وهو كذوب ! تعلمُ مَن تخاطب منذ ثلاث ليال ياأباهريرة ؟ » قلت : لا . قال : « ذاك شيطان » أي : تمثل بصورة إنسان محتاج إلى طعام

تلاوة آية الكرسي عقب الصلوات من أكبر الحسنات

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ دُبُر - وراء - كل صلاة مكتوبة - مفروضة - آيةَ الكرسي لم يمنعْه من دخول الجنة إلا أن يموت » . رواه ابن مردويه .

قال الحافظ ابن كثير : ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة عن الحسن بن بِشر وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن حميد الحمصي ، وهو من رجال البخاري ، فهو إسناد على شرط البخاري . اهـ .

ومن أسرار آية الكرسي ماذكره كثير من العلماء بالقراءات رضي الله عنهم أنها ذُكِر اللهُ تعالى في ستة عشر موضعاً منها مابين اسم ظاهر ومضمر ، وأوصلها بعضهم إلى عشرين ، باعتبار الضمائر المستترة في اسم « الحي ، القيوم ، العلي ، العظيم » ويعلم ذلك من تأمله .

خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش

عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ : « أُعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعْطَهنَّ نبي قبلي » . رواه الإمام أحمد .

وقال سيدنا علي رضي الله عنه : لاأرى أحداً عَقَل الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة ، فإنها من كنز أعطيه نبيكم ﷺ من تحت العرش .

وروى البخاري عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : «من قرأبالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه » . أي : عن غيرهما من

التعاويذ ، أو من الشرور والآفات والمكاره .

وعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يُقْرأُ بهنَّ في دار ثلاثَ ليالٍ فيقربَها شيطان » رواه الترمذي .

آخر سورة البقرة دعاء لقَّنه الله تعالى عباده وضمن لهم الإجابة

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل قال فيه : فأنزل الله تعالى ﴿ ربَنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نسينا أو أخطأنا ﴾ قال الله تعالى : «نعم» ﴿ربنا ولا تَحْمِل علينا إصْراً كما حَمَلْتَهُ على الذين من قبلنا﴾ قال الله تعالى : «نعم» ﴿ربنا ولا تُحَمِّلْنَا ما لَا طاقةَ لنا به﴾ قال الله : «نعم» ﴿ وَاعْفُ عنا واغْفِرْلَنا وارْحَمْنَا أنتَ مولانا فانصُرْنا على القوم الكافرين﴾ قال الله : «نعم» وفي حديث آخر : قال الله تعالى : «قد فعلت» .

وروى الحاكم والبيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله ختم سورة البقرةِ بآيتين أعطانِيهِما من كنزه الذي تحت العرش فتعلَّموهما وعلِّموهما نساءكم وأبناءكم فإنهما صلاةٌ وقرآن ودعاء » .

ماورد في فضل سورتي البقرة وآل عمران

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزَّهْراوَيْن - المنيرتَين - البقرةَ وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غَيايتان[1] أو كأنهما فِرقانٌ من طير صواف

---

(١) الغياية : ما أظلك من فوقك .

تحاجّان عن صاحبهما ، اقرؤوا البقرة فإن أَخْذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَة »[1] رواه مسلم .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونةَ زوجِ النبي ﷺ - وهي خالته - قال : اضطجعتُ في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهلُه في طولها ، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبلَه بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده - وفي رواية ابن مردويه : فرفع رأسه إلى السماء فقال : «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات ثم قرأ العشر الخواتم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شَنٍّ معلَّقة ، فتوضأ منها فأحسنَ وضوءه ثم قام يصلي - قيام الليل - فقمت فصنعت مثلَ ماصنع ، ثم ذهبت وقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى فَفَتَلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج النبي ﷺ فصلى الصبح .

وفي الحديث الذي رواه ابن مردويه : لما نزلت عليه آية ﴿إنَّ في خَلْق السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألباب﴾قال : «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها » . وذلك لأن فيها الحثَّ على التفكُّرُ والاعتبار والتدبر والادّكار . كما روى أبوالشيخ وغيره أن النبي ﷺ خرج يوماً إلى أصحابه وهم يتفكرون فقال : « لاتَفَكَّروا في الله تعالى ولكنْ تفكَّروا فيما خلق » . وإنما نهاهم عن التفكر في ذات الله تعالى لأنهم لايحيطون به علماً ، ولا يُدركونه خِبرةً وفهماً ﴿ لاتُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخَبيرُ﴾ .

(١) أي لايستطيعون القيام بحقوقها . أو المراد بالبطلة : السحرة ، بمعنى أنها حصن من سحر السحرة .

آية ﴿شَهِدَ الله أنه لا إله إلا هو﴾ هى أعظم شهادة في كتاب الله تعالى

روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية يوم عرفة ثم قال بعد قراءتها : « وأنا على ذلك من الشاهدين ياربّ » .

ورُوي أنه ﷺ بعد ماظهر في المدينة قَدِم عليه حَبران من أحبار الشام ، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه : ماأشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان !! - ﷺ - فلما دخلا على رسول الله ﷺ عرفاه بالصفة فقالا له : أنت محمد ؟ قال : «نعم» قالا: أنت أحمد ؟ قال : «نعم» قالا : إنا نسألك عن شهادةٍ فإنْ أنت أخبرتَنا بها آمنا بك وصدقناك . فقال لهما : «سَلَاني» فقالا له : أخبِرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله تعالى ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأسلما . فهي أعظم شهادة في كتب الله تعالى ، وإنما عرفاه ﷺ بموجب الصفات المذكورة في التوراة والإنجيل .

آية ﴿ قُلِ اللهمَّ مالكَ المُلك ﴾

روى الطبراني بإسناده أن النبي ﷺ قال : «اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب : في هذه الآية ﴿ قُلِ اللهمَّ مالكَ المُلْكِ تُؤْتي المُلْكَ مَن تشاءُ وتَنْزِعُ المُلْكَ ممن تشاء ... ﴾ الآية .

وروى ابن أبي الدنيا عن معاذ رضي الله عنه قال : شكوتُ إلى النبي ﷺ دَيْناً كان عليّ فقال : « يامعاذُ أتحبُّ أن يُقْضَى دَيْنُك ؟ »

قلت : نعم . قال : «قل ﴿ اللهم مالكَ الملكِ تُؤتى الملكَ مَن تَشاء وتَنزِع الملكَ ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذلُّ مَن تشاء ، بِيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيء قديرٌ ﴾ رحمنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما تُعطِي منهما ماتشاء ، وتَمنع منهما ماتشاء ، اقضِ عني دَيني » .

قال ﷺ : « فلو كان عليك مِلءَ الأرضِ ذهباً أُدِّي عنك ».

وروى الطبراني نحو هذا الحديث بالسند الجيد .

آية ﴿ فإنْ تَوَلَّوا فقلْ : حَسْبيَ الله لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم ﴾

روى أبوداود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : من قال حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلتُ وهو ربُّ العرش العظيم - سبع مرات - كفاه الله ماأهمَّه من الدنيا والآخرة . ورواه ابن السُّني مرفوعاً .

سورة الإسراء

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة : بنى إسرائيل والزُّمَر - أي سورة الاسراء وسورة الزمر - رواه الترمذي والنسائي وغيرهما .

آخر آية من سورة الإسراء

روى الإمام أحمد بإسناده أن النبي ﷺ قال : « آية العِزِّ : ﴿وقُلِ الحمدُ لله الذي لم يَتَّخِذْ ولداً ، ولم يكنْ له شريكٌ في المُلْك ، ولم يَكُن له وليٌّ من الذُّلّ وكبِّره تكبيراً﴾ .

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي في الأسماء والصفات بإسنادهما أن النبي ﷺ قال : «ماكَرَبني أمرٌ إلّا تمثَّل لي جبريل عليه السلام فقال لي: يامحمد قُلْ : توكلتُ على الحيِّ الذي لايموتُ ، والحمدُ لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكنْ له شريكٌ في الملك ، ولم يكن له وليٌّ من الذُّل وكبِّره تكبيرا » .

وروى أبويعلى وابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجت أنا ورسول الله ﷺ فأتى على رجلٍ رثّ الهيئة فقال : « أيْ فلانُ مابلغ بك ماأرى من السقم والضُّرّ . ألا أُعلمك كلماتٍ تُذْهِب عنك السقم والضر ! قل : توكلتُ على الحي الذي لايموت والحمد لله الذي لم يتخذْ ولداً ... » إلى تمام الآية . ثم أتى عليه رسول الله ﷺ - أي بعد حين - وقد حَسُنَتْ حالته فقال : «مَهْيَم ؟ » فقال : لم أزل أقول الكلماتِ التي علمتَني يارسول الله .

وروى عبدالرزاق في مصنفه بإسناده أن النبي ﷺ كان يعلِّم الغلامَ من بنى هاشم إذا أفصحَ سبع مرات ﴿ الحمدُ لله الذي لم يَتَّخِذْ ولداً ﴾ الآية وروى نحو ذلك ابن جرير وابن أبي شيبة وابن السني .

سورة الكهف

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من حفظ عشر آيات أول سورة الكهف عُصِم من الدجّال » رواه مسلم . وفي رواية له : « من آخر سورة الكهف» وفي رواية النسائي : « من قرأ العشرَ الأواخِرَ من سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجال ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ سورةَ الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجُمُعتين » رواه النسائي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سَطَعَ له نور من تحت قدمه إلى عَنان السماء يُضيء له يوم القيامة ، وغُفرَ لَهُ مابين الجمعتين » أي : من الصغائر . قال الحافظ المنذري : رواه ابن مردويه في تفسيره بإسناد لابأس به .

وروى ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : «أَلَا أُخْبِرُكم بسورة ملءُ عظمتها مابين السماء والأرض ، ولكاتبها من الأجرِ مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غُفرله مابينه ومابين الجمعة الأخرى وزيادةُ ثلاثةِ أيام ، ومن قرأ الخمسَ الأواخرَ منها عند نومه بعثه الله أيَّ الليلِ شاء ؟ سورة أصحاب الكهف» كما في الفتح الكبير .

سورة طه

روى الدارمي وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويّس قبل أن يَخلُق السموات والأرضَ بألفَيْ عامٍ ، فلما سمعتِ الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمةٍ ينزل عليها هذا ، وطوبى لأجواف تَحمِل هذا وطوبى لألسنةٍ تتكلم بهذا » .

سورة السجدة آلم

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لاينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ

تنزيل﴾السجدة ، و ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ رواه الترمذي والنسائي .

سورة يٓس

رُوِي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إن لكل شيء قلباً ، وقلبُ القرآن يٓس ، ومن قرأ يٓس كتب الله له بقراءتها قراءةَ القرآن عشر مرات دون يٓس » رواه الترمذي والدارمي .

وروى أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : «من قرأ يٓس في ليلةٍ أُضعفَ على غيرها عشراً ، ومن قرأها في صدر النهار وقدَّمها بين يَدَيْ حاجتِه قُضيتْ » كما في كنز العمال .

وروى البيهقي عن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال : « من قرأ يٓس ابتغاءَ وجهِ الله غَفَر الله ماتقدم من ذنبه فاقرؤوها عند موتاكم» .

وعن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ يٓس في ليلةٍ ابتغاءَ وجهِ الله تعالى غُفِرله » . رواه مالك وابن حبان في صحيحه ، وتقدمت رواية أحمد في فضل سورة البقرة .

فضل الحواميم

روى أبو الشيخ في الثواب عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «الحواميمُ دِيباج القرآن » ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود موقوفاً ، كما في الجامع الصغير .

وروى ابن مردويه عن سمرة بن جندب مرفوعاً : « الحواميم روضة من رياض الجنة » .

وروى البيهقي عن الخليل بن مرة مرسلًا مرفوعا : « الحواميم سبع ، وأبواب جهنم سبع ، تجيء كلُّ حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب

تقول : اللهم لا تُدخِلْ هذا الباب من كان يُؤمن بي ويَقرؤني » .

حــم الدُّخَان

رُوى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من قرأ حم الدخان ليلةَ الجمعة غُفِرله » رواه النسائي .

وفي رواية : «من قرأ حم الدخان في ليلةٍ أصبح يستغفر له سبعون ألفَ ملك» . رواه الترمذي .

سورة الرحــمن

وروى البيهقي والديلمي عن السيدة فاطمة عليها السلام عن النبي ﷺ قال : « قارىء الحديد – أى سورة الحديد – وإذا وقعت الواقعة والرحمن يُدْعَى في ملكوت السماوات والأرض ساكن الفردوس » كما في الفتح الكبير وغيره .

ســورة الواقعــه

«علِّموا نساءَكم سورةَ الواقعة فإنها سورة الغنى». رواه الديلمي في الفردوس عن أنس مرفوعاً .

المســبِّحات

عن العرباض بن سارية أن النبي ﷺ كان يقرأ المسبِّحات كلَّ ليلة قبل أن يرقُد ، يقول : «فيهنَّ آيةٌ خيرٌ من ألف آية » رواه أصحاب السنن .

واختلف في هذه الآية ، فقال ابن كثير : هي قوله تعالى في أول سورة الحديد ﴿ هُو الأوَّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطِنُ وهُو بكلِّ شيء عليمٌ ﴾ وقال غيره : هي أواخر سورة الحشر .

وروى الإمام أحمد عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال : «من قال حين يصبح – ثلاث مرات – أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ

ثلاث آيات من آخر سورة الحشر : وَكَّل الله به سبعين ألفَ ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة»..

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إذا وجدتَ في نفسك الوسوسة فقل ﴿ هو الأوَّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطِنُ وهُو بكل شيء عليم ﴾ فمن كررها ذهبت عنه الوسوسة .

سورة تبارك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مِنَ القرآنِ سورةٌ ثلاثون آيةً شَفَعت لرجل حتى غُفِرله : تبارك الذي بيده الملك » رواه أصحاب السنن .

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «إن سورة من كتاب الله تعالى ماهي إلا ثلاثون آيةً شَفَعَت لرجل فأخرجته من النار وأدخلتْه الجنة ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « هي – أي سورة تبارك – المانعة ، وهي المنجية تُنجي من عذاب القبر » .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سورة من القرآن ماهي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلتْه الجنةَ وهي تبارك » رواه الضياء المقدسي والطبراني في الأوسط كما في الجامع الصغير

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نسميها – يعني تبارك الذي بيده الملك – في عهد رسول الله ﷺ المانعة ، وإنها في كتاب الله تعالى سورة من قرأها في ليلة فقد أكثرَ وأطيبَ ». رواه الطبراني في والكبير والأوسط ورجاله ثقات .

وروى النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من قرأ سورة تبارك الذي بيده الملك كلَّ ليلةٍ منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر ، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة ، وإنها في كتاب الله عزوجل سورة من قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب .

وروى عبدُ بن حُميد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل : ألا أُتْحِفُك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى . قال : اقرأ «تبارك الذي بيده الملك» وعلِّمها أهلك وجميعَ ولدِك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمجادِلةُ تُجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار ، وينجى بها صاحبها من عذاب القبر وقال رسول الله ﷺ : « لودِدْت أنها – سورة تبارك – في قلب كل إنسان من أمتي » . ورواه الطبراني أيضاً كما في مجمع الزوائد ، وفي رواية الحاكم : «وددت أنها في قلب مؤمن » كما في ترغيب المنذري .

تعويذة قرآنية نبوية

أخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند بسند حسن عن أبيّ بن كعب قال : كنت عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : يانبي الله إن لي أخاً وبه وجع ، قال : «وما وجعُه ؟» قال : لَمَمٌ . قال : «فأْتِني به» فوضعه بين يديه فعوَّذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب ، وأربعِ آياتٍ من أول سورة البقرة ، وهاتين الآيتين ﴿وإلَٰهُكم إلَهٌ واحدٌ﴾ وآية الكرسي ، وثلاثِ آياتٍ من آخر سورة البقرة ، وآية من آل عمران ﴿شهِد الله أنه لا إله إلا هُوَ﴾ وآية من الأعراف ﴿إن ربكم الله ﴾

وآخر سورة المؤمن ﴿فتعالَى الله المَلِكُ الحقُّ﴾ وآية من سورة الجن ﴿وأنه تَعَالَى جَدُّ ربِّنا﴾ وعشرِ آياتٍ من الصافّات ، وثلاثِ آيات من آخر سورة الحشر و ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوِّذتين : فقام الرجل كأنه لم يَشْكُ قطُّ وجعاً . كذا في المسند .

ماجاء في فضل تلاوة سورة البيِّنة

روى الحافظ أبونعيم في كتابه اسماء الصحابة بإسناده عن فضيل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى لَيَسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ الذين كفروا﴾ فيقول : أَبْشِر عبدي فوعزَّتي لأُمَكِّنَنَّ لك في الجنة حتى ترضى » .

ورواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير عن مطر المزني أو المدلي عن النبي ﷺ : « إن الله يسمع قراءة ﴿ لم يكنِ الذين كفروا ﴾ ويقول : أبشر عبدي فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والاخرة ولامكِّننَّ لك من الجنة حتى ترضى ». كذا في تفسير ابن كثير.

وقد جاءت الأحاديث النبوية في أن الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يقرأ هذه السورة على أبيّ بن كعب ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبي حيَّة الأنصاري رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ إلى آخرها قال جبريل : يارسول الله إن ربك يأمرك أن تُقْرِئها أبيّاً ، فقال النبي ﷺ لأبيّ : « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » قال أبيّ وقد ذُكرتُ ثَمَّ – أي هناك في الملأ الأعلى – يارسول الله ؟ فقال : «نعم» . قال : فبكى أبيّ .

وفي رواية للإمام أحمد عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إني أُمرتُ أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا» قلت : يارسول الله وقد ذُكرتُ هناك ؟ قال : «نعم» فقال لي : «ياأبا المنذرِ فرحتَ بذلك ؟ » قال : وما يمنعني ؟ والله يقول ﴿ قُلْ بفضلِ الله ورحمتِه فبذلك فلْيفرحوا هُو خيرٌ مما يَجمعون ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتاً له وزيادةً لإيمانه ، فإنه كان قد أنكر على إنسان - وهو عبدالله بن مسعود - قراءةَ شيء من القرآن على خلافِ ما أقرأه رسول الله ﷺ ، فرفعه إلى رسول الله ﷺ فاستقرأهما وقال لكلٍّ منهما : «أصبتَ» قال أُبيّ : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية ، فضرب رسول الله ﷺ في صدري قال أبيّ : فَفِضْتُ عَرَقاً وكأنما أنظر إلى الله فَرَقاً ، وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : «إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتَك القرآن على حرف فقلتُ : أسأل الله معافاتَه ومغفرته» فقال : على حرفين ، فلم يزل حتى قال : إن الله يأمرك أن تُقْرِىءَ أمتك القرآن على سبعة أحرف » كما جاءت الأحاديث الصحيحة في ذلك اهـ ملخصاً .

من خصائص تلاوة «قل ياأيها الكافرون» فما بعدها في السفر

روى أبويعلى والضياء المقدسي عن جُبير بن مُطعم أن النبي ﷺ قال له : «أتحبُّ ياجبيرُ إذا خرجتَ سفراً أن تكون من أمثلِ أصحابِك هيئةً وأكثرِهم زاداً ؟ اقرأ هذه السورَ الخمس : قل ياأيها الكافرون ، وإذا جاء نصر الله والفتح ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق

وقل أعوذ برب الناس ، وافتح كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم واختم ببسم الله الرحمن الرحيم » كما في الفتح الكبير .

الترغيب في قراءة «قل هو الله أحد» وفضلها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « احشُدوا فإني سأقرأ عليكم ثُلُث القرآن » فحشد من حشد - أي فاجتمعوا - قال : ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء ، فذلك الذي أدخله . ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثُلُثَ القرآن ، ألا إنها تَعْدِل ثُلُث القرآن » . رواه مسلم .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أَيَعْجِز أحدُكم أن يقرأ في ليلةٍ ثلث القرآن ؟ » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : « قل هو الله أحد تَعدِل ثلث القرآن ».

وفي رواية : « إن الله عز وجل جَزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل « قل هو الله أحد » جزءاً من أجزاء القرآن » رواه مسلم .

ورُوي عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذاً نستكثُر يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ «الله أكثر وأطيب» رواه أحمد

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سريّة ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ « قل هو الله أحد » فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : « سَلُوه لأي شيء يصنعُ ذلك » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحبُّ أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : «أخبِروه أن الله يحبُّه » رواه البخاري ومسلم .

قراءة سورة الاخلاص قبل النوم

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من أراد أن ينام على فراشه من الليل فنام على يمينه ثم قرأ : قل هو الله أحد مائة مرة ، إذا كان يوم القيامة يقول له الربّ تبارك وتعالى : ياعبدي ادخل على يمينك الجنة » .

فضل الإكثار من تلاوة قل هو الله أحد

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من قرأ كل يوم مائتي مرة «قل هو الله أحد» مُحِيَ عنه ذنوب خمسين إلا أن يكون عليه دَيْن » .

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر الله له ذنوب مائتي سنة » .

وروى الطبراني والديلمي مرفوعاً : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كَتَب الله له براءة من النار » .

وروى البيهقي وابن عدي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر له خطيئةُ خمسين عاماً

ماأجتنب خصالًا أربعاً : الدماء ، والأموال ، والفروج ، والأشربة ».

وعن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى » - أي أعتق رقبته من النار - رواه الخِياري في فوائده ، كما في الجامع الصغير وغيره .

تلاوة سورة الإخلاص عند دخول المنزل

روى الطبراني عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ «قل هو الله أحد» حين يدخل منزله نَفَتِ الفقرَ عن أهل ذلك المنزل والجيران » [1] .

تلاوة سورة الإخلاص عشر مرات بعد الصلاة

روى ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً « ثلاث من كنَّ فيه أو واحدة منهنَّ فليتزوج من الحور العين حيث شاء : رجلٌ ائتُمِنَ على أمانة مخافة الله عز وجل ، ورجل خَلَّى عن قاتله - أي عفا عن قاتله ، كما في رواية - ورجل قرأ في دُبُر كل صلاةٍ قل هو الله أحد عشر مرات » . ورواه عن جابر رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً كما في الجامع الصغير .

فضل تلاوة المعوّذتين وخصائصهما

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أَوَى إلى فراشه كل ليلة جَمَع كفيه ثم نَفَث فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » ثم

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : إسناده ضعيف .

يمسح بهما - أى بيديه - ماستطاع من جسده : يبدأ بهما على رأسه ووجهه وماأقبل من جسده ﷺ - يفعل ذلك ثلاث مرات . ورواه أصحاب السنن . وفي هذا التمسُّح دليل على التبرك والاستشفاء بهنَّ ، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره ، وفيه دليل على جواز التمسح تبركًا واستشفاء واسترحامًا - بكلمات الله تعالى وأسمائه .

وروى الإمام مسلم وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ألم تَرَ آياتٍ أُنزلت الليلةَ لم يُرَ مثلُهن ؟ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » .

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «اقرأ بالمعوِّذتين فإنك لن تَقرأ بمثلهما » .

وروى الإمام مالك عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى - أي مرضًا أو وجعًا - يقرأ على نفسه بالمعوِّذتين وينفث ، قالت عائشة رضي الله عنها : فلما اشتَدَّ وجعه ﷺ كنت أقرأ عليه بالمعوِّذات وأمسح بيده عليه رجاءَ بركتِها . ورواه البخاري وغيره .

وروى أصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ من الجانِّ وأعين الإنسان ، فلما نزلت المعوِّذتَان أخذ بهما وترك ماسواهما .

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « ألا أُخبِرك بأفضلِ ماتعوَّذ به المتعوِّذون ؟ » قال : بلى . فقال : « قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » .

وروى النسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: تبعتُ رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت : أقرِئْني سورة هود أوسورة يوسف ! فقال : « لن تقرأ شيئًا أنفعَ عند الله تعالى من قل أعوذ برب الفلق » . هكذا أورده ابن كثير في تفسيره .

قراءة المعوِّذات وراء الصلوات المكتوبات

روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقرأ بالمعوِّذات في دُبُر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما .

قراءة المعوِّذات سبعًا سبعًا بعد صلاة الجمعة

روى ابن السُّني عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ بعد صلاة الجمعة : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، سبع مرات : أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الاخرى » .

وروى أبو سعيد القشيري في الأربعين عن أنس مرفوعًا : « من قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس : سبعاً سبعاً : غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » .

تعظيم المصاحف

قال الله تعالى : ﴿ إنه لَقرآنٌ كريمٌ في كتابٍ مَكْنونٍ . لا يَمَسُّه إلا المُطَهَّرون . تنزيلٌ من ربِّ العالَمين ﴾ .

فقد أخبر سبحانه أن هذا القرآن كريم أي مكـرَّم معظَّـم ، ومـن ثَمَّ لا يَمَسُّه في الملأ الأعلى إلا الملائكةُ وتلك الأرواحُ العالية القدسية لأنهم مطهَّرون أصفياءُ أنقياءُ ، وحُقَّ له ذلك ، لأنه ﴿تنزيل من رب العالمين﴾.

وقال تعالى : ﴿حـم والكتابِ المبينِ . إنا جَعَلناه قرآناً عربياً لعلكم تَعقِلون . وإنه في أُمِّ الكتاب لَدَينا لَعَلِيٌّ حكيم ﴾ .

وفي هذه الآيـات الكـريمة بيـانٌ من اللـه تعـالى وإعـلام منـه لعبـاده بشرف هذا القـرآن الكـريم في الملأ الأعلى ومجده ورفعـة شأنـه ، وذلك ليشرِّفـه أهـلُ الأرض ويعظِّمـوه ويكرِّمـوه ، مقتديـن بالملأ الأعلى في تمجيدهم وتعظيمهم لكتاب ربهم .

وقال تعـالى : ﴿ كلّا إنها تِذْكِـرَة . فمَـنْ شاء ذَكَـره . في صُحُـفٍ مكرَّمة . مرفوعةٍ مُطَهَّرة . بأيدي سَفَرة . كِرَام بَرَرة ﴾ .

فبيَّن سبحانه أن صُحُف هذا القرآن الكريم مكرمـة مرفوعـة المكانـة في الملأ الأعلى ، مطهَّـرة من كل دَنَس وزيـادة ونـقص وخلـل ، وأنـه بأيدي الملائكة الذين هم سَفَرَةٌ بين الله تعالى وبين خلقـه ، وهـم كِرام الأخلاق والخصال والشِّيَم ، بَرَرة الأفعال والأعمال والأقوال ، فطـوبى لمن تشبَّه بهم في تمجيدهم وتعظيمهـم وتكريمهـم لهذا الكتـاب الكـريم ، وفي أخلاقهم وأعمـالهم وعبـاداتهم . قال ﷺ : « الـذي يَقْـرأُ القـرآن وهُـو ماهـرٌ به مع السَّفَـرة الكـرام البررة » الحديث كما تقـدم . اللهـم اجعلنا منهـم .

فهذا القرآن شأنه عظيم ومقامه كريم ، لأنـه تنزيـل من رب العـالمين

على أفضل الأولين والآخرين ، والنازلُ به هو الروح الأمين ذو المكانة والسيادة والرتبة العالية والقيادة ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله : ﴿ إنه لَقَولُ رسول كريم . ذي قوةٍ عند ذي العرشِ مَكينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أمينٍ ﴾ .

فكانَ هذا المكين جبريل عليه السلام المطاع الأمين إذا نزل بآياتِ الله تعالى نزل معه مَوْكِبٌ حافل من الملائكة الكرام عليهم السلام ، يَحُفون بما نزل به من كلام المَلِك العلّام - إجلالًا وإعظاماً وتهيُّباً وإكراماً .

وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « البقرة سَنامُ القرآن وذِرْوَتُه ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً » الحديث . وماذلك إلا لتفخيم أمرها وتعظيم شأنها وبيان فضلها وكرامتها.

كما أخبر النبي ﷺ أن سورة الأنعام لما نزلت نزل معها سبعون ألفَ ملكٍ يُشَيِّعونها لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد . كما رواه الطبراني وغيره .

وفي رواية الحاكم في المستدرك عن جابر رضي الله عنه قال : لما نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لقد شَيَّع هذه السورةَ من الملائكة ماسَدَّ الأُفُق » قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

وفي روايةِ ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نزَلتْ سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سَدَّ مابين الخافقين لهم زَجَل بالتسبيح ، والأرض بهم ترتجُّ » قال أنس رضي الله عنه : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سبحان الله

العظيم سبحان الله العظيم »[(١)] .

ومن أجل حرف - أي طرفِ جملة - وهو قول الله تعالى ﴿غيرُ أُولي الضَّرر﴾ نزل جبريل ومعه موكب من الملائكة - يلقي ذلك على النبي ﷺ ، كما روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: « أملى عليَّ رسول الله ﷺ ﴿ لا يَستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمليها عليَّ فقال : يارسول الله والله لو أستطيع الجهادَ لجاهدتُ ، وكان أعمى ، رضي الله عنه فأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿غير أُولى الضَّرر﴾ . فانظر في كرامة هذا القرآن الكريم على الله تعالى حتى إن جبريل الأمين المكين ينزل من أجل بعض آية ، ثم انظُر في واجب إكرام هذا القرآن الكريم عند خلق الله تعالى .

فحقٌّ حقيق على كل مسلم أن يُجِلَّ هذا القرآنَ ويعظمه ، وتعظيم القرآن الكريم يتطلب عدة أمور :

منها: تعظيم المصحف ، لما فيه من الصحف التي رسمته واحتوت عليه وجمعته ، وقد روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن إبراهيم التيميّ قال : كان - أي في عصر الصحابة رضي الله عنهم - يقال : عظِّموا المصاحف . اهـ .

ومن تعظيم المصحف وتكريمه : أن يُرفع ولا يُوضع على الأرض ،

(١) انظر جميع ذلك في تفسير ابن كثير والدر المنثور .

وذلك لأن هذا القرآن كريم ، والكتاب الذي كُتب فيه وجَمَعه مكرم ومعظم ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله : ﴿ إنه لقرآنٌ كريم في كتاب مكنون ﴾ وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ المقدَّس المعظم . قال الله تعالى ﴿ بلْ هو قرآنٌ مَجيدٌ في لوحٍ مَحْفوظٍ ﴾ .

فالكتاب والصحف التي كُتب فيها كلمات القرآن الكريم مكرَّمة معظَّمة ، لما حوتْه وجمعته ، وإن الكتاب والصحف تَشرُف وتَعظُم وَتَكْرُم على حسب ما احتوت عليه وكتب فيها ، ولا أشرف ولاأمجد وأعظم من آيات الله تعالى وكلماته ، فيجب تعظيم الصحف الجامعة لها . وإذا كان الأمر كذلك :

- فإن وضع الكتاب على الأرض لا يعدُّ من باب التكريم ولا التعظيم لذلك الكتاب كما هو ظاهر معلوم بالبداهة ، بل وضع الكتاب على الأرض يُؤْذِن بعكس ذلك ، ألا ترى من البديهي أن من أراد أن يحترم كتابك رفعه بين يديه ، بل ربما رفعه على موضع مرتفع مكرم ، ولو وضع كتابك المرسَل إليه على الأرض أمامك حين يُقدَّم إليه لكبر ذلك عليه ...

إذاً وضع المصحف على الأرض ليس تكريماً للمصحف قطعاً ، وإن الشرع يأمر بتكريمه لأنه قرآن كريم في كتاب مكنون ، ولأنه في أم الكتاب عند رب العزة لعلي حكيم ، بل من التكريم له أن يُرفع عن الأرض ولا يوضع عليها .

المصحف يعظم ويكرم ولو بَليت أو تشقَّقتْ صحفه

قال في الدر المختار : المصحف إذا صار بحالٍ لا يُقرأ فيه يدفن ، كالمسلم. اهـ

قال في ردّ المحتار : أي يجعل المصحف في خِرْقَة طاهرة ويُدفن في محل غير ممتَهَن لا يوطأ . قال : وفي الذخيرة : وينبغي أن يُلحَد له ولايُشق له لأنه - أي الشق - يحتاج إلى إهالة التراب عليه ، وفي ذلك نوع تحقير ، إلا إذا جَعَل فوق المصحف سقفاً ، بحيث لا يصل التراب إليه فهو حسن أيضاً .

وفي شرعة الإسلام : وإذا بَلِي المصحف واندرس مافيه فإنه يُلَفُّ في خِرقة طاهرة ويدفن في مكان طيب لايصيبه قذر ولا يطأه أحد.اهـ.

وقال في شِرْعة الشِّرعة : وفي شرح النُّقاية : ورقة كتب فيها اسم الله تعالى وكذلك أسماء الأنبياء والملائكة واستُغْني عنها تُلْقَى في الماء الجاري أو تدفن في أرض طاهرة ولا تُحرق بالنار . أشار إليه الإمام محمد في السِّيَر الكبير . قال في الذخيرة : وبه - أي بقول الإمام محمد - نأخذ اهـ . وفي السراجية : تُدفن أو تُحرق . وكذلك في الفتاوى التاتارخانية . اهـ .

قال : وفي القُنْية : لايجوز في المصحف الخَلَق - أي الذي بَلِيت أو تشققت صحفه - الذي لايصلح للقراءة فيه ، لا يجوز أن يُجلَّد به القرآن اهـ . أي لايجوز أن تُجعلَ صحفُه جِلداً لمصحفٍ آخر . فاعتبر وادَّكر أيها العاقل ! فإن المصحف فيه كلام الله تعالى ، وإن فضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه ، كما تقدم في الحديث الشريف . ومن أكرم كلام الله تعالى فقد أكرم الله تعالى .

ونقل في شرح الشِّرعة عن البزازية أنه لايَجوز مدُّ الرِّجل إلى المصحف إلا أن يكون المصحف مرفوعاً ، بحيث لاتقع المحاذاة بين موضع

المصحف وبين الرجْل ، قال : فإنه لا يكره حينئذ ، وكذلك لو كان معلَّقا في وَتِد ومدَّ رجله إلى الأسفل لأن المصحف على العلوّ فلم يُحاذِه . اهـ بتصرف قليل .

وبهذه المناسبة نقول : قد نص الفقهاء على كراهة مدِّ الرِّجْل إلى القبلة . والدليل على ذلك أن جهة المقبلة معظَّمة ومحترمة ، لأنها الجهة التي يُقبِل فيها العبد على ربه في صلواته وعباداته ودعواته ، وإنه يتجلى سبحانه على عباده في صلواتهم ودعواتهم وعباداتهم وطوافهم في قبلتهم . قال ﷺ - كما في سنن الترمذي وغيره - : « فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله يَنصِب وجهه لوجه عبده مادام في صلاته » الحديث . وفي سنن أبي داود وغيرها عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أيُّكم يحبُّ أن يُعرِض الله عنه ؟ إن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تعالى قِبَل وجهه فلا يَبْصُقَنَّ قِبَل وجهه ، ولا عن يمينه ولْيَبْصق عن يساره تحت رجله اليسرى » . الحديث .

فجانب القبلة مكرم ومحترم شرعاً ، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن استقبال القبلة واستدبارها حالة البول أو التغوُّط - تكريماً لها وتعظيماً ، لأن حالة التبُّول والتغوط ليست مكرمة ولا معظمة ، فلا ينبغي أن يَستقبل القبلة وهو على تلك الحالة .

روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكنْ شَرِّقوا أو غرِّبوا» . قال أبوأيوب : فلما قَدِمنا الشامَ وجدنا مراحيض قد بُنِيتْ قِبَل القبلة ، فننحرف عنها ونستغفر الله تعالى .

وفي هذا كله دليل صريح في أن جانب القبلة معظم ومحترم ومكرم شرعاً ، ولذلك كان المجلس الذي استُقْبِل به القبلة له السيادة على غيره ، وله الشرف على غيره ، وله الكرامة على غيره ، كما جاء في الأحاديث النبوية ، كما أورد ذلك الحافظ المنذري في «الترغيب» في الجلوس مستقبل القبلة فقال :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكلِّ شيء سيداً وإن سيد المجالس قِبالة القبلة » رواه الطبراني بإسناد حسن .

قال : ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرمُ المجالسِ ما استُقْبِل به القبلة » . رواه الطبراني في الأوسط .

ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لكل شيء شرفاً ، وإن أشرف المجالس ما استُقْبل به القبلة » رواه الطبراني .

فهذه الأحاديث تدلُّ على شرف جانب القبلة وكرامته وسيادته، وإذا كان الأمر كذلك فليس مدُّ الرجْل للقبلة تشريفاً لها ولا تكريماً لها ولا أدباً لائقاً بجانب القبلة ،فإن من المعلومات البدهية أن مدّ الرجل إلى العظماء أو الأشراف أو السادات أو الأفاضل يعتبر إساءة وتهاوناً وخروجاً عن حدود الأدب ، وقد أثبتت أحاديث النبي ﷺ الشرفَ والسيادة والكرامة لجانب القبلة . فاعتبرْ والزمِ الأدب ، فجانب القبلة معظم ومحترم ، لأنه مُتَّجَه العبد إلى ربه في صلواته وعباداته كما تقدم ، كما أنه متَّجَه العبد إلى ربه في دعواته وابتهاله .

وقد روى الترمذي والنسائي والإمام أحمد - واللفظ له- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه كدويّ النحل ، فلبثنا ساعة ، فاستقبَلَ القبلة ورفع يديه وقال : « اللهم زِدْنا ولا تَنْقُصنْا ، وأَكرِمْنا ولا تُهِنَّا ، وأَعْطِنا ولا تَحْرِمنا ، وآثِرْنا ولا تُؤْثِر علينا ، وارْضَ عنا وأَرْضِنا » ثم قال ﷺ : « لقد أُنزل عليَّ عشرُ آياتٍ مَن أقامَهن دخل الجنة » ثم قرأ ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ حتى ختم العشر . فالقبلة معظمة شرعاً ومحترمة ، والمتوجِّه إليها ينبغي أن يتصف بصفة المحترِم والمعظِّم لها .

كانوا يقبِّلون المصحف ويتمسحون به

روى الدارمي بإسناد صحيح أن عكرمة بن أبي جهل - الحي ابن الميت رضي الله عنه - كان يضع المصحف على وجهه ويقول : كتاب ربِّي . أي : هذا كتاب ربنا أنزله إلينا بواسطة رسولنا سيدنا محمد ﷺ . أي : ومَن جاءَه كتاب من عظيم فينبغي له أن ينظر فيه ، فكيف بالقرآن العظيم النازل من عند رب العرش العظيم على سيدنا محمد ﷺ ذي الخُلُق العظيم .

ونقل في الدر المختار أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يأخذ المصحف كلَّ غداة ويقبِّله ويقول : عهدُ ربي ومَنْشورُ ربي عزّ وجلّ . وكان عثمان ابن عفان رضي الله عنه يقبِّل المصحف ويمسحه على وجهه . اهـ .

كانوا يستحبُّون النظر في المصحف إذا أصبحوا

نقل الحَلِيمي في شُعَب الإيمان عن يونس بن عبيد أنه قال : كان خُلُقاً للأولين النظرُ في المصحف ، وقال الأوزاعي رضي الله عنه : كان

يُعجبهم النظر في المصحف . اهـ وقال صاحب القوت : كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرأون في المصحف ويستحبون أن لايخرج يوم إلا وقد نظروا في المصحف . قال : وخَرَّق عثمان بن عفان رضي الله عنه مصحفين من كثرة دَرْسِه فيهما . اهـ .

وقال العلامة الفاسيُّ رحمه الله : كان الأئمة والصالحون من السلف أول مايبدأون به إذا أصبحوا النظر في المصحف ، وكانوا يأمرون مَنِ اشتكى بصرَه أن ينظر في المصحف . اهـ .

كانوا يستحبون توريث المصحف

وفي ذلك نوع من التعظيم للمصحف والتكريم له ، لأن شأن العاقل أن يورِّث ماهو عزيز عليه كريم لديه محبوب إليه ، يورثه لمن يحبه ، ولأجل أن يجري عليه أجر القارىء فيه من بعده .

فقد روى ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يَلحقُ المؤمنَ مِن عمله وحسناته بعد موته - علماً علَّمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، أو مصحفا ورَّثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

النصيحة لكتاب الله تعالى واجبة ولها مطالبها

روى الإمام مسلم عن تميم الداريّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «الدين النصيحة» ثلاثاً . قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم » .

ورواه الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : « مَن لايَهتمُّ بأمر المسلمين فليس منهم ، ومَن لم يُمْسِ ويصبحْ ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم » .

فالنصيحة لكتاب الله تعالى من أهم واجبات الدين وأعظمها وأشدّها مسئوليةً عند الله تعالى ، والنصيحة لكتاب الله تعالى لها متطلَّبات عديدة . وقد نقل الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى عن الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه « تعظيم قدر الصلاة » عن أهل العلم من السلف الصالح في مطالب النصيحة لكتاب الله تعالى قولهم :

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى : فشدَّة حبه وتعظيم قدره ، إذْ هو كلام الخالق عز وجلّ ، وشدةُ الرغبة في فهمه ، وشدّة العناية في تدبُّره ، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني كتاب مولاه أن يفهمه عنه اويقوم به له - أي لله تعالى بعدما يفهمه عنه - وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية مَن ينصحه إن ورد عليه كتاب مَن عُني بفهمه ليقوم بما كتب فيه إليه ، فكذلك الناصح لكتاب ربه يُعنَى بفهمه ليقوم لله بما أمره به كما يحب ربنا ويرضى ، ثم ينشر مافهم في العباد ، ويُديم دراسته بالمحبة له والتخلُّق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه . اهـ .

ثم نقل الحافظ ابن رجب عن أبي عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى قوله : والنصيحة لكتاب الله تعالى : الإيمان به ، وتعظيمه ، وتنزيهه ، وتلاوته حق تلاوته ، والوقوف مع أوامره ونواهيه وتفهُّم علومه وأمثاله ، وتدبُّر آياته والدعاء إليه ، وذَبُّ تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه اهـ.

ومن واجبات النصيحة لكتاب الله تعالى : التزامُ العمل به معتقداً أنه الحق المبيِّن لجميع الحقوق والواجبات . قال تعالى : ﴿ وبالحقِّ أنزلْناه وبالحق نزل ﴾ الآية .

ومعتقداً أنه هو القول الفاصل بين الحق والباطل ، قال تعالى ﴿والسماءِ ذاتِ الرَّجعِ . والأرضِ ذاتِ الصَّدْع . إنه لَقَولٌ فَصْلٌ . وما هُو بالهَزْل ﴾ .

وفي هذا يقسم سبحانه وتعالى بالسماء ورَجْعها بالمطر الذي به حياة النفوس والأجسام ، وبالأرض وصدعها بالنبات وإخراجها الثمرات والخيرات التي بها الأقوات لكل مقتات ، أقسم بذلك على حقيَّة هذا هذا القرآن الكريم الذي به حياة الأرواح والقلوب ، فقال سبحانه ﴿إنه لقولٌ فصْلٌ﴾ أي هو الذي يفصل بين الحق والباطل ، فيميز هذا من هذا ، وهو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وذلك يتضمن إثبات أنه هو الحق وليس بالباطل ، وأنه الجِد كلَّ الجِد ، وليس بالهزل فلا هزلَ فيه ولا باطلَ ولا عبثَ ولا لعب ، بل هو كله حق وحقيقة وفصل وإحكام . قال تعالى : ﴿ آلـر كتابٌ أُحكِمتْ آياتُه ثم فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حكيمٍ خبير ﴾ .

قال صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الحديث : «هو الفصلُ ليس بالهزل» فلا يجوز أن تُتَّخذ آياتُ الله تعالى هُزُواً قال تعالى : ﴿ولا تَتَّخِذوا آياتِ الله هُزُواً واذْكُروا نعمةَ الله عليكم وما أنزلَ عليكمْ من الكتابِ والحكمةِ يَعِظُكُمْ به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكلِّ شيء عليم﴾.

والنهي عن اتخاذ آيات الله هُزُواً يتناول أموراً:

أولا : سوق بعض الكلمات القرآنية في مساقات الهزل أو المزاح أو الضحك أو العبث ، كما يفعله الزنادقة في مجالسهم .

ثانياً : عدم الاهتمام بأوامر القرآن ونواهيه ، بحيث إذا وردت عليه آيات القرآن وفيها الأوامر أو النواهي لم يعبأْ بذلك ولم يرغبْ فيما رغَّبه الله تعالى ، أولم يرهبْ ماحذَّر الله تعالى منه ، وكأن آياتِ القرآن في نظره أباطيل أو لهو ولعب ، ولايرى فيها الحق والحقيقة والجِدَّ والقول الفصل وفصل الخطاب ! قال تعالى فيهم ﴿ وإذا عَلِم من آياتِنا شيئاً اتَّخَذَها هزواً أولئك لهم عذابٌ مُهين ﴾ .

ثالثاً : الاحتيال على نصوص القرآن الكريم ، بأن يصرفها عن معانيها الواردة في السنة أو عن الصحابة أو عن السلف الصالح الذين تلقَّوها عن صدر هذه الأمة - يصرف تلك النصوص إلى ماتهواه نفسه فيتلاعب في الأحكام ويحلِّل الحرام ، إلى ماوراء ذلك ، وكأن نصوص الآيات القرآنية لعبة بين يديه يقلِّبُها كما يهوى ويريد .

رابعاً : عدم الثقة واليقين بما أخبرت عنه آيات القرآن الكريم من أمور غيبية أو حوادث كبرى يستبعد ذلك من الوقوع ، وذلك مثل مارواه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال : بينما رسول الله ﷺ في غزوته إلى تبوك إذْ نظر إلى أناس بين يديه من المنافقين يقولون : أَيرجو هذا الرجل أن تُفتح له قصور الشام وحصونها ! هيهات هيهات ! فأَطلَع الله نبيهَّ ﷺ على ذلك فقال :

« احبِسوا عليَّ هولاء الرَّكب » فأتاهم فقال ﷺ : « قلتم كذا وكذا » قالوا : يانبي الله إنما كنا نخوض ونلعب ! فنزل قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ سألتَهم لَيقولُنَّ إنما كنا نَخُوضُ ونَلْعَبُ ، قل : أَبالله وآياتِه ورسولِه كنتم تستهزئون ؟﴾ . فالنهيُ في قوله تعالى : ﴿ ولَا تتَّخِذوا آياتِ الله هُزُواً ﴾ يقضي أن يكون موقف الإنسان مع القرآن موقفَ الجادِّ الحازم الجازم المهتم كلَّ الاهتمام بالتمسك بكتاب الله تعالى والملتزم بآياته . قال تعالى : ﴿ والذين يُمَسِّكون بالكتابِ وأقاموا الصلاةَ إنا لانُضيع أجرَ المُصلِحين ﴾ صدق الله العظيم .

هذا وقد تمَّ جمع هذا الكتاب ونسخه في التاسع والعشرين من رمضان المبارك ١٤٠١ هـ .

ونسأل الله تعالى القبول وأن ينفع به العباد إنه هو السميع العليم وصلَّى الله تعالى على إمام الأنبياء والمرسلين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، في كل وقت وحين ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا أبد الآبدين .

صفحة

الفهرس

صفحة الفهرس

صفحة **الفهرس**

صفحة   الفهرس

صفحة **الفهرس**

صفحة

الفهرس

صفحة ## الفهرس

صفحة　　　　　　　　**الفهرس**

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

التصويبات

ص	س	خطأ	صواب
١٧	٢	وحسانته	وحصانته
١١٦	٧	ورو	وروى





تجليد، أختام، عمل بلاكات

طريق المطار، الحرة الشرقية، خلف محطة الزغيبي، المدينة المنورة

ت: ٨٣٦٨٣٨٢